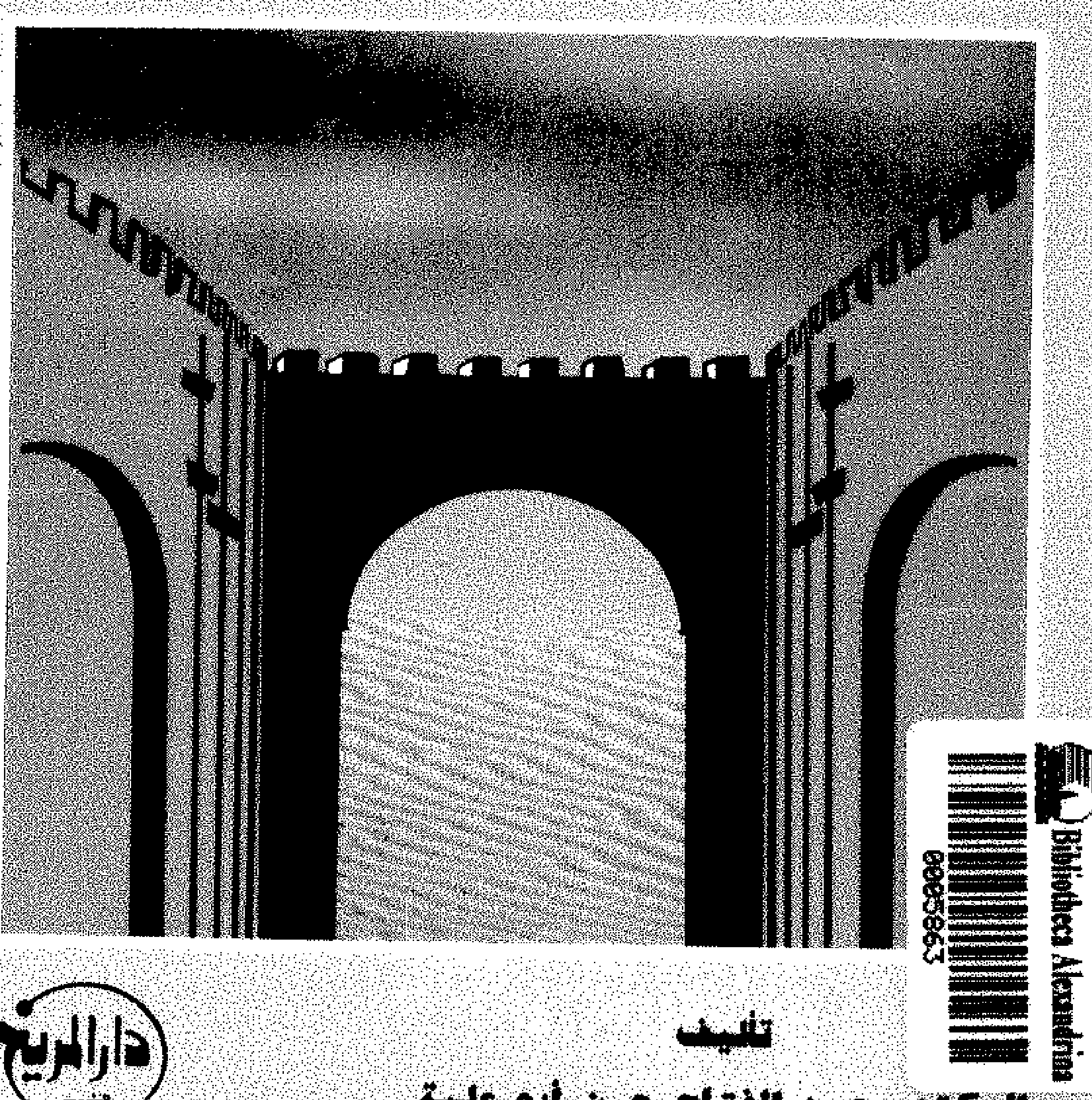


تأليف
الدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية

دار المريخ

محاضرات
في تاريخ
الدولة السعودية الأولى

محاضرات
في تاريخ الدولة السعودية الأولى

١١٥٧ - ١٢٣٣هـ / ١٧٤٤ - ١٨١٨م

تأليف

الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية
أستاذ التاريخ
الحديث والمعاصر
كلية العلوم الاجتماعية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ص . ب: ١٠٧٢٠ - الرياض: ١١٤٤٣ - تلكس ٤٠٣١٢٩
المملكة العربية السعودية - تليفون ٤٦٥٨٥٢٣ - ٤٦٤٧٥٣١

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

صفحة

تقـــديم ١١
مصادر الكتاب ١٣
الفصل الأول: مرحلة التأسيس: انتشار الدعوة السلفيّة في نجد وتوحيد أجزائه. ١٧
اتفاق الدرعية وظهور الدولة السعودية الأولى ١٩
العلاقة بين السلفيين وبين أمير العيينة ٢٣
حروب الدولة مع دهام بن دواس ٢٤
الدولة ومنطقة الوشم ٢٩
الدولة ومنطقة سدير ٣٠
الدولة ومنطقة الخرج ٣٠
الدولة ومنطقة القصيم ٣٢
الدولة ومنطقة جبل شمرّ ٣٣
الفصل الثاني: انتشار الدعوة السلفيّة واتساع الدولة السعودية الأولى في مناطق خارج إقليم نجد. ٣٥
علاقة الدولة بحاكم نجران. ٣٧
علاقة الدولة ببني خالد في الأحساء. ٣٨
الفصل الثالث: الموقف العثماني من الدعوة السلفية والدولة السعودية ٤٥
أولا: الموقف العثماني عن طريق ولاة العراق ٤٧
حملة علي كيخيا ٥٠
ثانيا: موقف أشراف الحجاز وولاة الشام من الدولة السعودية الأولى ٥٥
موقف أشراف الحجاز ٥٥
موقف ولاة الشام ٦٢

ثالثاً: موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها
محمد علي ٦٥
الحملة الأولى (حملة طوسون) ٦٧
وصول محمد علي الى جدة ٧٠
حملة إبراهيم باشا ٧٣
معارك الدرعية ٧٧

الفصل الرابع: امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في الخليج ٨١
العوامل التي دفعت الدولة السعودية إلى الإمتداد في مناطق الخليج العربي ٨٣
الدولة السعودية الأولى وقطر ٨٥
الدولة والبحرين ٨٦
الدولة والكويت ٨٧
الدولة وعمان ٩١
الدولة وساحل عمان ٩٦
وصول الدعوة والدولة الى جعلان ٩٨
أمراء الدولة السعودية الأولى في البريمي ٩٩
القصور السعودية في البريمي والمناطق العمانية ١٠٣

الفصل الخامس: أنظمة الدولة ١٠٧
الامام الحاكم ١٠٩
ولي العهد ١١٠
أمراء الأقاليم ١١١
الشورى ١١٢
النظام الحزبي ١١٣
النظام القضائي ١١٥
النظام المالي ١١٧
مصروفات الدولة من بيت المال ١١٨

الفصل السادس: علاقات الدولة الخارجية **١٢١**
العلاقة بين الدولة السعودية وبريطانيا **١٢٤**
علاقة الدولة السعودية الأولى بفرنسا **١٢٨**
علاقة الدولة السعودية الأولى بدولة العجم **١٣٠**
المصادر والمراجع **١٣٥**

تقديـــم

هذه محاضرات عن تاريخ الـدولـة السعودية الأولى ألقيتها على طلاب السنة الرابعة (الليسانس) في قسم التاريخ . وقد حاولت في هذه المحاضرات أن أبتعد عن الخوض في الجزئيات البعيدة واكتفيت بتتبع أهم الأحداث في التاريخ السعودي في دوره الأول ودولته الأولى في الفترة، بين ١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م، وحاولت أن أحلل الأحداث التاريخية كطريق سليم للوصول الى الاستنتاج .

ويجدر الإشارة هنا إلى أن المحاضرات هذه تركـز على الجـوانب السياسيّة والتنظيميّة والإدارية، وقسمت محاضراتي هذه إلى الفصول الآتية :-

الفصل الأول وعنوانه :
مرحلة التأسيس :
انتشار الدعوة السلفية في نجد وتوحيد أجزائه .

الفصل الثاني وعنوانه :
انتشار الدعوة السلفية واتساع الدولة السعودية الأولى في مناطق خارج إقليم نجد .

الفصل الثالث وعنوانه :
الموقف العثماني من الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى ويشتمل على :
أولا : الموقف العثماني عن طريق ولاة العراق
ثانيا : موقف أشراف الحجاز وولاة الشام من الدولة السعودية الأولى ودعوتها .
ثالثا : موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها محمد علي باشا .

الفصل الرابع وعنوانه :

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في الخليج .

الفصل الخامس وعنوانه :

أنظمة الدولة

الفصل السادس وعنوانه :

علاقة الدولة الخارجية

والله الموفق

الرياض في ٢٦/ ٦/ ١٤٠٢هـ
الموافق ٢٠/ ٤/ ١٩٨٢م

د. عبدالفتاح حسن أبو علية

نظرة على مصادر الكتاب

مما لاشك فيه أن المصادر والمراجع هي مفتاح الطريق للباحث. إذ لا تأريخ بدونها. وتأتي الوثائق في قمة هذه المصادر لأن الوثائق التاريخية هي أهم ما يعتمد عليه الباحث في دراسته التاريخية بخاصة في موضوعات التاريخ الحديث والمعاصر. لذا نشطت البلاد المتحضرة في عملية جمع الوثائق والاحتفاظ بها في دور خاصة بها تعرف بدور الوثائق أو المحفوظات Archives . والوثائق التاريخية نوعان :

أولا : وثائق غير منشورة : وهي الوثائق الأهم والتي يجب التركيزعليها لأن مادتها العلمية مازالت بكرًا لأنها بعيدة عن متناول يد الباحثين. ومن هنا ظلت معلوماتها سراً محفوظاً في الملفات لو انكشفت هذه المعلومات لرفعت الستار عن كثير من القضايا التاريخية التي ما زالت تشكل ألغازاً محيرة.

ثانيا : وثائق منشورة : قامت بنشرها جهات رسمية مختلفة، أو مؤسسات علمية، أو نشرت بواسطة عدد من الباحثين الذين خصصوا جزءاً كبيراً من نشاطهم العلمي لنشر الوثائق التي تهم موضوعات معينة.

وتوجد معظم الوثائق التي تهم تأريخ الدولة السعودية الأولى في كل من :

- دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول.
- أرشيف وزارة الخارجية باستانبول.
- وثائق سجلات حكومة بريطانيا في الهند "India Office Records"
- وثائق محفوظات بومبي بالهند.

ويتركز الكثير من وثائق هذا الموضوع في[1]:

دار الوثائق القومية بالقاهرة في:

ـ وثائق بحر برا، ووثائق دفاتر معية تركي، ووثائق محافظ أبحاث الحجاز، ومحافظ أبحاث الشام، ومحافظ بند متفرقات، والسجلات، ووثائق محافظ حمراء.

الأرشيف العثماني باستانبول في:

- وثائق دفاتر مهمة.
- وثائق دفاتر العينيات.
- وثائق الباب العالي.

أرشيف حكومة بريطانيا في الهند "India Office" في:

- سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية وما يتبعها.
  من وكالات "Factory Records".
- وثائق المنشورات الرسمية "Official Publications".
- وثائق مختارة من أوراق حكومة بومبي وهي:
  "Selection From Bombay State Papers".
- وثائق مجموعة ايتشيسون وهي بعنوان:
  "A Collection of Treaties, Vol. X and XI.
- وثائق مجموعة المراسلات الهندية السياسية وهي:
  "India Political Collections and Despatches".

هذا إلى جانب الوثائق المنشورة بشأن التحكيم لتسويةالنزاع الإقليمي بين المملكة العربية السعودية وبين مسقط وأبوظبي. والوثائق التي نشرتها حكومة المملكةالمتحدة في بريطانية وإيرلندة نيابة عن حكومة مسقط وحكومة أبوظبي بشأن النزاع حول واحات البريمي.

---

(١) لمزيد من التفصيل، ارجع إلى: د. عبد الفتاح أبو علية، دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث المعاصر (مصادر تاريخ البلاد السعودية)، ط ١، الناشر: دار المريخ للنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

Arbitration Concerning Buraimi and The Common Frontier Between "Abu Dhabi and Saudi Arabia".

وهناك مصادر تاريخية محلية معاصرة منها:

- كتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لمؤلفه حسين بن غنام.
- كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لمؤلفه عثمان بن بشر.
- كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورسائله.
- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية. وهي رسائل وفتاوى علماء نجد المعاصرين للأحداث.
- كتاب «الصواعق الإلاهية في الرد على الوهابية» لمؤلفه سليمان بن عبدالوهاب.
- كتاب «تاريخ الفاخري» لمؤلفه محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر الوهيبي التميمي. تحقيق الدكتور عبدالله اليوسف الشبل.
- مخطوط «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لمؤلفه محمد بن عبدالله بن سليمان بن عثمان بن حميد النجدي.
- مخطوط «تحفة المشتاق» لمؤلفه عبدالله بن محمد البسام.
- الشعر العامي (النبطي).

وهناك مصادر تاريخية غير المصادر النجدية منها:

- كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» ومؤلفه مجهول وناسخه حسن الريكي. حقق مرتين. كانت الأولى للدكتور أحمد أبوحاكمة عام ١٩٦٧م. وكانت الثانية للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ.
- كتاب «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» لمؤلفه عثمان بن سند.
- كتاب «الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيدين» لمؤلفه حميد بن محمد بن رزيق. وقد نقل هذا المؤلف إلى الإنجليزية قام بنقله السير جورج برسى بادجر "Badger" . وأسماه History of the Imams and Seyyids of Oman .
- كتاب «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء» لمؤلفه رسول الكركوكلي. وهو مكتوب في الأصل بالتركية. قام بترجمته إلى العربية موسى كاظم نورس.
- كتاب «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» لمؤلفه أحمد زيني دحلان.

- كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لمؤلفه عبدالرحمن الجبرتي.
- كتاب «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» لمؤلفه أبي الطيب صديق ابن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي.
- مخطوط «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» لمؤلفه عبدالله بن صالح المطوع.
- كتاب «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» لمؤلفه عبدالله السالمي.
- مخطوط «كتاب المشكات (المشكاة) المضية ردًّا على الوهابية» لمؤلفه ابن السويدي.
- كتاب «نهضة الأعيان بحرية عمان» لمؤلفه محمد شيبة بن نور الدين السالمي.
- كتاب «التحفة النبهانية» في تاريخ الجزيرة العربية» لمؤلفه خليفة بن محمد بن موسى النبهاني.
- كتاب «تاريخ نجد» لمؤلفه محمود شكري الألوسي.
- كتاب «صفة جزيرة العرب» لمؤلفه الحسن بن أحمد الهمداني.
- كتاب «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد» لمؤلفه إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري.

وهناك مصادر أجنبية أخرى:

- Ali Bey: Travel of Ali Bey, 2 Vols, (London 1816).
- Badger. G.P.: History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil bin Razik, From 661-1856, trans. by Badger (London 1871)
- Brydges. Sir Harford Jones, An Account of His Majesty's Mission to Court of Persia in the years 1807-1810, 2Vols. (London 1834).
- Burkhardt, J.L., Notes on the Bedouins and Wahabys, (London 1930).
- Burkhardt, Travels iin Arabia, 2Vols. (London 1829).
- Mourizi, Shaikh Mansour, History of Said Sultan of Muscat together with an account of the Countries and people of Shores of Persian Gulf, particularly of Wahabees (London 1891).
- Sadlier. C.G.F., Diary of a Journey Aeross Arabia, from EL-Katif in Persian Gulf. to Yambo in the Red Sea, (Bombay 1866).

هذا وهناك الكثير من المراجع التي تناولت أحداث الدولة السعودية في دورها الأول ودولتها الأولى. وقد أدرجت قائمة منها في آخر هذه المحاضرات.

الفصل الأول

مرحلة التأسيس :
انتشار الدعوة السلفية في نجد وتوحيد أجزائه

- اتفاق الدرعية وظهور الدولة السعودية الأولى .
- العلاقة بين السلفيين وبين أمير العُيينة .
- حروب الدولة مع دهام بن دواس .
- الدولة ومنطقة الوشم .
- الدولة ومنطقة سدير .
- الدولة ومنطقة الخرج .
- الدولة ومنطقة القصيم .
- الدولة ومنطقة جبل شمّر .

الفصل الأول

مرحلة التأسيس:

انتشار الدعوة السلفية في نجد وتوحيد أجزائه

اتفاق الدرعية

وظهور الدولة السعودية الأولى

يبدأ ظهور الدولة السعودية الأولى في السنة التي انتقل فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحب الدعوة السلفية من بلدة العُيينة إلى بلدة الدرعية[1] في عام ١١٥٧هـ - ١٧٤٤م[2].

ونجد كتعريف جغرافي يُطلق على الأرض المرتفعة التي تشمل قلب شبه جزيرة العرب. ويُحد نجد من الغرب الهضاب الغربية (سفوح السراة) والحجاز. ويمتد شرقًا

---

(١) كانت الدرعية وهي بلدة من بلدان منطقة العارض بنجد - عندما انتقل إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب بلدة صغيرة قليلة أسباب الرزق والثروة. وقد عانى سكانها ومن هاجر إليها من أتباع الشيخ من ضيق العيش فكان تلاميذ الشيخ يعملون في الليل ويجلسون في حلقات الدرس في النهار حول أستاذهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب. أنظر عثمان بن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ١، ص٢٣، طبعة وزارة المعارف السعودية.

(٢) أنظر: حسين بن غنام «روضة الأفكار والأفهام» جـ٢، ط١، ص٤، المكتبة الأهلية بالرياض ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

نلاحظ أن المؤرخ ابن غنام لم يحدد بالضبط تاريخ رحيل الشيخ إلى الدرعية. فيقول في الجزء الثاني من كتابه ص٤: «... وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية» وتتفق رواية عثمان بن بشر مع رواية حسين بن غنام على أن انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية كان عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م أنظر: مخطوطة عثمان بن بشر المحفوظة بالمكتبة البريطانية بلندن.

حتى الدهناء والأحساء. ويمتد من الشمال من صحراء النفوذ حتى صحراء الربع الخالي في الجنوب. وإقليم نجد عبارة عن مجموعة من الواحات الخصبة التي يتوافر فيها الماء الجوفي القريب من سطح الأرض. والإقليم يشمل واحات كثيرة كالقصيم وسدير والحوطة والحريق ووادي الدواسر والوشم والمحمل والعارض والخرج وواحات جبل شمر[٣].

قامت الدولة السعودية الأولى على أثر اتفاق الدرعية الذي تم بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، أمير الدرعية وقتذاك[٤]. وتنص شروط الاتفاق على الآتي:

قال الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو في الدرعية: «ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه. وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن

---

(٣) أنظر: عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، ص١٤، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م. وكذلك أنظر: فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ط٢، من ص٢٢-٢٣، مطبعة النصر بالرياض. ولمعرفة تحديدات الجغرافيين المسلمين لنجد، إرجع إلى: الإمام الحربي في كتابه «المناسك» تحقيق الشيخ حمد الجاسر ونشر دار اليمامة. والبكري في كتابه «معجم ما استعجم» تحقيق مصطفى السقا. والأصفهاني - في كتابه «بلاد العرب» والحمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب».

(٤) ينتسب آل سعود إلى جدهم سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي. ويرجعون في نسبهم إلى ربيعة إحدى القبائل العدنانية. وكان جدهم مانع بن ربيعة قد قدم سنة ٨٥٠هـ من بلاده الدرعية الواقعة قرب القطيف إلى حجر اليمامة بناء على طلب ابن عمه (ابن درع) صاحب حجر قاعدة اليمامة والتي بنيت على ما تبقى من علاماتها القديمة مدينة الرياض. وكان ابن درع صاحب الجزعة أيضًا وهي إحدى ضواحي الرياض من الجهة الجنوبية. أقام مانع وأسرته في المليبيد وغصيبة بعد أن أقطعهما إليه ابن عمه ابن درع. وأصبحت هذه المنطقة فيما بعد «الدرعية» تخليدًا لموطن آل سعود الأول. أو تخليدًا لاسم الأسرة. أنظر: ابن بشر، نفسه، مجلد٢، ص٢١-٢٢. أنظر كذلك: حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، والفاخري، الأخبار النجدية. ورقة ٢.

خالف التوحيد. ولكن أريد أن اشترط عليك اثنين(٥)».

أولاً: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا. فأجاب الشيخ: «أبسط أيها الأمير يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم(٦)».

ثانيًا: «إن لي على الدرعية قانونًا آخذه منهم في وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئًا. فأجاب الشيخ «فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها» وبعد هذا الحوار الاتفاقي بسط الأمير محمد بن سعود يده فبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويتضح من نص الإتفاق أنه كان اتفاقًا شفويًا. ولو أنه جاء مكتوبًا لأصبح وثيقة تاريخية، وصار بمقدورنا معرفة تاريخ الاتفاق بشكل دقيق. وعلى الرغم من أن كلاً من

---

(٥) أنظر:
- عثمان بن بشر، نفسه، جـ١، ص٢٢.
- حسين بن غنام، نفسه، جـ٢، ص٣.
- يذكر صاحب لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ص٣٠-٣١عن الإتفاق المذكور ما يلي: قال الأمير للشيخ: «هذه القرية قريتك والمكان أنت وليه، فلا تخش أعداءك والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا فقال: أنت كبيرهم وشريفهم، أريد منك عهدًا على أنك تجاهد في هذا الدين، والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك، وأن المشيخة والخلافة في الدين وفيّ آل من بعدي أبدًا، بحيث لا ينعقد أمرًا ولا يقع صلحًا ولا حربًا إلا ما نراه كذلك فإن قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله. لأنك اتبعت الدين ونصرته ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله. وأي منزلة أعلى من هذه. فقال محمد بن سعود قبلت وبايعتك على ذلك فتبايعا، واشترط كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه.

(٦) لم يقبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض عثمان بن معمر، أمير بلدة العيينة حين طلب منه عثمان أن يعود إلى العيينة ويترك بلدة الدرعية. وهذا يعطينا صورة عن مدى الصدق في تطبيق شروط الإتفاق. أنظر: ابن بشر، نفسه، جـ١، ص٢٣.

المؤرخين: حسين بن غنام وعثمان بن بشر أوردا السنة التي تم فيها الاتفاق، إلا أن معلوماتهما تظل ناقصة لأنهما لم يذكرا اليوم والشهر الذي وقع فيه هذا الاتفاق.

ونرجح عدم كتابة هذا الاتفاق ـ حسب اعتقادنا ـ إلى الآتي:

١ ـ إن الكثير من العهود والمواثيق الجماعية في العهود الإسلامية وغيرها جاءت غير مكتوبة. فعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر عهود المبايعة بخاصة المبايعة الجماعية.

٢ ـ إن الإتفاق يعدّ من الوجهة القانونية اتفاقًا يمثل الجماعة. فهو اتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤيديه وبين الأمير محمد بن سعود رأس الحكومة والسلطة.

٣ ـ إن الإتفاق قام على أساس ديني، ومن هنا فإن جاء هذا الاتفاق مكتوبًا أو شفويًا فالأمر سيّان لأنه عهد وميثاق. قال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم». الآية ٩١ من سورة النحل. «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون». الآية ٨ من سورة المؤمنين. يقول صاحب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ص ٣٢: «. . . ويايعه (أي بايع محمد بن سعود الشيخ) على تقويم هذا الدين وترويجه، ثم أنه اشترط كل واحد منهما على صاحبه ما اشترط، وأكدا الأمر بالحلف والعهود والمواثيق واتخذا على ذلك شهودًا. . .».

وبهذا الاتفاق الذي ذكرناه آنفا تم تشكيل الدولة السعودية الأولى وأصبحت الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية الأولى، وأصبح أميرها يلقب فيما بعد بلقب إمام. وأصبح على الدولة الجديدة واجب كبير، وهو نشر الدعوة في ربوع نجد أولا. ثم في ربوع الجزيرة ثانيًا، ثم في خارج الجزيرة العربية ثالثًا، وكان هذا العمل يحتاج إلى جهد كبير بخاصة وأنه سيصطدم بمقاومة عنيفة في الداخل وبمقاومة أعنف وأشد من الخارج.

وقد عم خبر الاتفاق أرجاء نجد وخشي كثير من رؤساء البلدان النجدية من هذا الحدث الجديد. فمنهم من جاء إلى الدرعية معلنًا تأييده. ومنهم من أبدى مناهضته للدعوة والدولة الجديدة، ومنهم من أعلن رضاه لكنه كان يظهر خلاف ما يبطن.

وقد أصبحت الدرعية المركز الديني والسياسي في نجد بعد هذا الاتفاق، ومن الدرعية مركز الثقل السعودي الأول بدأت تخرج الحملات العسكرية السلفيّة ضد من أعلنوا عداءهم للدعوة والدولة وأخذت تنعقد فيها حلقات الدروس الدينية، ومنها كذلك بدأت تخرج البعثات الدينية إلى أنحاء البلاد النجدية لتثقيف الناس الثقافة الدينية وتبصيرهم بأهداف الدعوة الإصلاحية ولتكون الوسيلة السلمية لنشر الدعوة السلفية في ربوع البلاد النجدية وغيرها.

لقد قضت الدولة السعودية الأولى أكثر من نصف قرن وهي تعمل من أجل توحيد نجد تحت الحكم السلفي السعودي. وخاضت الدولة حروبًا طويلة مع البلدان المجاورة للدرعية في نجد من أجل عملية التوحيد المذكورة. وأدرج هنا عددًا من النماذج التطبيقية على العلاقة الحربية التي سادت جو العلاقات بين الدولة السعودية الجديدة وبين القوى السياسية المحلية في نجد التي وقفت في صف القوى المعادية للدعوة والدولة.

العلاقة بين الدولة السعودية
وبين أمير العُيينة

أرسلت الدولة السعودية السلفية الأولى عدة حملات عسكرية ضد الذين رفضوا مبادىء الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب وضد من رفض الدخول في طاعة الدولة. وكانت من بين الحملات التي وجهتها الدولة السعودية الأولى، حملات ضد أمير العُيينة عثمان بن معمر[٧].

نحن نعرف أن ابن معمر هذا كان قد احتضن الشيخ ودعوته في بداية الأمر، لكنه تحت تأثير ضغط حاكم الأحساء، سليمان بن محمد رئيس بني خالد أخرج الشيخ من بلده. وكان ابن معمر هذا أول أمير اعتنق مبادىء الدعوة السلفية. وأول من شارك

(٧) من أجل مزيد من التفصيل إرجع إلى: ابن بشر، نفسه، جـ١، ص٢٩، ٣٠. وكذلك ابن غنام، جـ٢، ص٤، ٨، ٩، ١٤، ٥٧.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه في هدم كثير من القباب وقطع عدد من الأشجار التي كان الناس يتبركون بها. ومن إمارته العُيينة أذيعت لأول مرة مبادىء الدعوة السلفية. وبعد خروج الشيخ محمد من العُيينة إلى الدرعية ندم عثمان على فعلته بخاصة عندما رأى ما حل بالدرعية من تقدم وسمعة بعد انتقال الشيخ إليها واتفاقه مع أميرها على نشر الدعوة. فذهب عثمان بن معمر إلى الدرعية وحاول إقناع الشيخ بالعودة إلى العُيينة، لكن الشيخ رفض مطلبه. وفي بداية الأمر أعلن عثمان بن معمر خضوعه للدرعية، وشارك في حروب الدولة ضد دهام بن دواس حاكم الرياض قبل انضمامها للدعوة والدولة. إلا أن أحداثًا بدت منه أثبتت أنه لم يكن صادقًا ومخلصًا في ولائه للدعوة والدولة فجعل يكيد لهما. ثم رأى أن هذه المحاولة لم تفلح. فعاد نادمًا وطلب السماح من الشيخ والإمام محمد بن سعود فصفحا عنه، وأجاباه على طلبه. ومع هذا استمر عثمان بن معمر في عدائه للدولة لأنه شعر بفقد مركزه وسلطته. فحاول عقد الأحلاف ضد الدولة. فاستدعى كلاً من إبراهيم بن سليمان، أمير ثرمداء وابن سويط، رئيس قبيلة الظفير، ليقوموا بهجوم على الدرعية. إلا أن بعض المؤيدين للدعوة من أهل العيينة قتلوا الأمير عثمان بن معمر في رجب عام ١١٦٣هـ/١٧٤٩م بعد خروجه من صلاة الجمعة. وبعدها جاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه إلى العُيينة وأمر عليها مشاري بن معمّر. وبعد عشر سنوات من حكم مشاري للعيينة عزل عنها بسبب عدم ولائه وعين بدلاً منه سلطان بن محيسن المعامرة (٨). وهكذا استطاعت الدولة أن تنجح في القضاء على مقاومة أمير العُيينة التي انضمت بعد ذلك إلى الدعوة وأصبحت ضمن سيادة الدولة. وهكذا فقدت أسرة آل معمّر الزعامة السياسية في العُيينة واختفى دورها السياسي في نجد.

حُروب الدولة مع دهّام بن دوّاس أمير الرياض

كان دهام بن دواس بن عبدالله الشعلان من الجلاليل ويظن أنه من مطير من ألد أعداء الدعوة والدولة. وكان قد هاجر وإخوته من منفوحة إلى الرياض على أثر مقتل

---

(٨) يذكر ابن بشر في كتابه عنوان المجد، جـ١، ص٤١ أن الذي أمر على العيينة هو سلطان بن محسن المعمري. ويبدو أن هذا الإسم هو نفسه الموجود في كتاب ابن غنام.

أخيهم محمد بن دواس الذي كان يرأس منفوحة . وكانت الرياض وقتذاك تحكم من قبل زيد بن موسى الذي قتله أحد أبناء عمه الذي كان معتوها[٩] فاستولى على حكم الرياض أحد مواليه المسمى خميس بعد أن استطاع هذا قتل القاتل . وظل خميس يحكم الرياض مدة ثلاث سنوات[١٠]. بعدها هرب خميس من الرياض إلى منفوحة وهناك لقي حتفه . وبعد ذلك تولى حكم الرياض دهام بن دواس الذي ادعى أنه خال لأولاد زيد بن موسى أبا زرعة . وعندما استوثق في الولاية واستتب له الأمر وكثر أعوانه ، أخرج الإبن الأكبر من أبناء زيد من الرياض ، فثار أهل الرياض عليه إلا أنه استنجد بالإمام محمد بن سعود الذي أنجده بجند بقيادة أخيه مشاري بن سعود. وبهذه المساعدة تمكن دهام بن دواس من تثبيت حكمه لمدة في الرياض[١١].

ومع هذا لم يعتنق دهـام بن دواس مبادىء الدعوة السلفية بل استنكرها[١٢]. وقـامت حروب بينه وبين السلفيين دامت حولي سبعة وعشرين عامًا. وظلت الحرب سجالاً بين دهام والسلفيين حوالي عشرين سنة في عهد الإمام المؤسس للدولة محمد بن سعود. وكانت الحرب في أخذ ورد. وكان أسلوب دهام في الحرب أسلوب الدسائس والفتن تارة وأسلوب المصالحة تارة أخرى. لقد عاهد دهام الدولة أربع مرات ولكنه كان في كل مرة ينكث بعهده.

لقد كانت بداية الاحتكاكات العسكرية بين الدرعية ودهام بعد انضمام منفوحة إلى الدعوة. فقام دهام بالهجوم عليها وضمها إلى الرياض. وربما أن الدافع لهذا العمل

(٩) ذكر ذلك الشيخ ابن غنام. أما الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى يذكر في تاريخه بعض الحوادث الواقعة في نجد «أن زيدًا قتل من قبل جماعة من عنزة في وقعة كانت بينهم وبين أهل الرياض». أنظر: التعليق في: كتاب ابن بشر، جـ١ ، ص٢٦ ، أنظر كذلك : ابن غنام نفسه ، جـ٢ ، ص٥ .

(١٠) يذكر التعليق في هامش كتاب ابن بشر، جـ١ ، طبعة وزارة المعارف، ص٢٦ ، أن حكم المولى خميس للرياض دام مدة خمس سنوات.

أنظر: Lady Anne Blunt, A pligrimage to Nejd, Vol. 2, p.252 (London 1881).

(١١) يذكر ابن غنام أن دهام أرسل أخاه مشلبًا إلى الدرعية يطلب العون من الإمام محمد بن سعود، أنظر: ابن غنام، ص٥ .

(١٢) أنظر: ابن غنام، نفسه، جـ٢ ، ص٦ .

هو ردة الفعل المعاكس، فإن دهام وإخوته كانوا بمنفوحة وأجلوا عنها. والآن شعر دهام بأنه في مركز قوى في الرياض يستطيع أن يضم منفوحة إلى حكمه. إلا أنه فشل بسبب المقاومة العنيدة من قبل أمير منفوحة علي بن مزروع، ومن قبل سكانها. حتى أن دهام أصيب بجرحين أثناء الاشتباكات بينه وبين أهالي منفوحة(١٣).

وكرد فعل لهذه الحادثة جهز الإمام محمد بن سعود حملة صغيرة ضد دهام استطاعت الوصول داخل الرياض ومهاجمة قصر دهام فيها. وبعد ذلك عادت الحملة إلى الدرعية.

هاجم دهام العمارية وقتل أميرها عبدالله بن علي. فكان هذا سببًا في قيام الإمام محمد بن سعود بغزوة مضادة ضد جيش دهام. وكانت موقعة «فيضة لبن» التي انهزم فيها جيش الدرعية بعد أن كمن دهام لجيشها في المكان المذكور.

وكرد فعل لوقعة «فيضة لبن» قام الإمام محمد بن سعود بحملة ضد دهام وكانت الموقعة قد حدثت في الوشام. وكانت النتيجة أن انهزمت قوات الرياض ودعيت هذه الوقعة بوقعة «شايبان» لأنه قتل فيها شايبان من آل شمس من أهل الرياض.

وأراد الإمام محمد بن سعود أن يلاحق دهام ويزيد في هزائمه. فقام بحملة أخرى ضد الرياض، كانت نتيجتها هزيمة دهام مرة أخرى. وسميت هذه الوقعة بوقعة العبيد، لأن معظم من قتل من رجال دهام كانوا من العبيد.

جهز دهام جيشًا وهاجم الدرعية. ولما خرجت له قواتها تظاهر بالتقهقر فظن جيش الدرعية أن جيش دهام قد هزم، إلا أن جيش الرياض كان قد نصب كمينًا لجيش الدرعيّة فكانت النتيجة ضد جيش الدرعية وقتل من جيشها الأميران فيصل وسعود إبنا الإمام محمد بن سعود.

وكرد فعل لهذه الأحداث جهزت الدرعية جيشًا قويًا للهجوم على الرياض. إلا أن أحد أهالي بلدة حريملاء من آل داود يدعى أبو شيبة كان قد أفشى للرياض سر المعلومات التي هيأتها الدرعية لمهاجمة الرياض. فكانت النتيجة متكافئة بين الجيشين

(١٣) أنظر: ابن غنام، نفسه، جـ٢، ص٦-٧، ابن بشر، نفسه جـ١، ص٢٧.

وعرفت هذه الوقعة باسم وقعة الشراك وكانت عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م.

ثم حدثت معركة أخرى تدعى «بوقعة البنية» اشتبكت فيها جيوش الدرعية والرياض وكانت نتيجتها ضد جيوش الدرعية. والملاحظ أن قائد الجيش السعودي في هذه الواقعة كان عثمان بن معمّر.

وحدثت وقعة أخرى بين جيش الدرعية وبين جيش الرياض في مكان يدعى «الخريزة» وكانت النتيجة متكافئة وكان قائد القوات السعودية في هذه الوقعة عثمان بن معمر.

وفي عام ١١٦٧هـ عقد مؤتمر في الدرعية اجتمع فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود مع كبار أنصار الدعوة في مختلف البلدان للتباحث في شئون الدعوة والمواقف اللازم اتخاذها ضد أعدائها. ولما سمع دهام بهذا المؤتمر طلب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود عقد صلح بينه وبين الدرعية وتعهد باعتناق مبادىء الدعوة السلفية، إلا أن دهام نكث هذا العهد في العام التالي سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م.

وهكذا تجددت الاشتباكات بين الدرعية والرياض من جديد ولم تخلو سنة إلا ووقعت فيها غزوة بين الدرعية والرياض. وأخيراً طلب دهام الصلح من الشيخ والإمام محمد بن سعود عام ١١٧٧هـ/١٧٦٢م. فوافقت الدرعية على شروط منها:

(أ) أن يقبل دهام بعودة أنصار الدعوة إلى الرياض بعد أن كان دهام قد اضطرهم للهجرة منها.
(ب) أن يعيد دهام الأملاك التي صادرها في الرياض من أنصر الدعوة إلى أصحابها.
(جـ) أن يساعد دهام الدرعية في حربها ضد أعداء الدعوة والدولة.

وظل دهام متمسكًا بهذا الصلح حتى وفاة الإمام محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م. وكان كذلك قد حضر مع الأمير عبدالعزيز بن محمد الحرب التي قامت بها الدرعية ضد عشائر الظفير في وقعة «جراب» وكانت هذه أول غزوة ينضم إليها دهام تحت لواء الدرعية.

والذي نلاحظه على الوقعات التي ذكرناها هو أن دهام بن دواس ظل صامدًا أمام الغزوات السلفية. وظل ينهج سياسة إثارة الفتن والصعوبات ضد حكومة الدرعية.

ونلاحظ كذلك أن دهام أخذ يجرب سياسة الأحلاف ضد الدرعية. فجرب عقد حلف مع أميري الأحساء ونجران. وتارة كان يجرب عقد الأحلاف مع البلدان النجدية التابعة للدولة السعودية ويحرضها على نقض العهد والابتعاد عن الدعوة.

ونلاحظ كذلك أن حكومة الدرعية جربت أن تحدث تكتيكًا حربيًا جديدًا ضد دهام. حيث أقام الأمير عبدالعزيز بن محمد حصنًا يدعى بحصن «الغذوانة»[١٤] غربي الرياض في وادي حنيفة ليكون نقطة انطلاق حربي ضد الرياض حيث وضعت فيه حامية سعودية قوية.

ونلاحظ كذلك أن حكومة الدرعية كانت في مركز قوي أمام تحديات دهام وغزواته وتحريضاته وتحرشاته. كما أن الغزوات المتلاحقة ضده كانت سببًا قويًا من أسباب إضعاف القوة المعادية للدعوة والدولة. وكانت هذه الغزوات بداية الطريق لضم الرياض إلى بوتقة الدولة ونشر مبادىء الدعوة السلفية فيها.

وما أن سمع دهام بخبر وفاة الإمام محمد بن سعود، حتى أخذ يعد العدة من جديد للإنقضاض مستغلاً هذه الفرصة. فتحالف مع حاكم الدّلم زيد بن زامل وشنا هجومًا قويًا ضد منفوحة. هذا ما جعل الإمام السعودي الجديد عبدالعزيز بن محمد يهاجم الرياض. وأمر أخاه عبدالله بالهجوم على قبيلة سبيع حليفة دهام(*).

وزادت في زمن الإمام الجديد حدة التوتر بين الدرعية وبين الرياض بخاصة في

---

(١٤) يذكر ابن بشر أن اسم الحصن «الغزوانة». أنظر: ابن غنام، نفسه، جـ٢، ص٥٣. وكذلك: ابن بشر، جـ١، ص٣٩.

(*) أنظر: H. St. John Philby, Saudi Arabia, p.61, (London 1955).

الفترة الواقعة ما بين عام ١١٨١هـ ـ ١١٨٧هـ/١٧٦٧م ـ ١٧٧٣م. فقاد الإمام عبدالعزيز بن محمد الجيوش بنفسه. وأخذ يركز هجماته ضد دهام في الرياض. وظل الأمر هكذا في أخذ ورد، إلا أنه أصبح بشكل أميل إلى الجانب السعودي السلفي حتى سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م، ففي هذه السنة ركز الإمام عبدالعزيز هجماته الشديدة ضد دهام. وركز كذلك على تهديم حصون الرياض بخاصة حصن المرقب الذي كانت منه تراقب الجيوش القادمة لحرب الرياض. وبعد تهديم هذه الحصون فرّ دهام إلى الخرج عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م. وبعدها استسلمت الرياض ودخلها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وانتهت جولة طويلة من جولات الحروب التي دامت أكثر من ٢٧ سنة بين الدرعية وبين الرياض. واستراحت الدولة من أشد وأخطر وأعند خصم لها في نجد. وبهذا انتشرت مبادىء الدعوة السلفية في الرياض[١٥]. وبهذا أخذت الدعوة والدولة تركزان جهودهما في اتجاهات أخرى. وانتهت كتلة أخرى من كتل العداء التي كانت تقف أمام انتشار الدعوة وامتداد رقعة الدولة السعودية الناشئة والفتية.

الدولة ومنطقة الوشم[١٦]

قررت الدولة نشر مبادىء الدعوة السلفية في منطقة الوشم. لذا أرسلت غزوة عام ١١٦١هـ/١٧٤٨م بقيادة عثمان بن معمر والأمير عبدالعزيز إلى ثرمداء. ومع أن الجيش السعودي السلفي انتصر على جيش ثرمداء إلا أنه لم يستول عليها. وفي عام ١١٦٣هـ/١٧٥٠م حاولت الدولة إقناع أهالي ثرمداء بالدخول في الدعوة والإنضمام للدولة إلا أنهم رفضوا ذلك. وظلت تقوم الوقعات بين الدرعية وبين ثرمداء حتى ما بعد عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م. وأخيراً انضمت ثرمداء إلى الدولة بعد أن قاد الأمير عبدالعزيز بن محمد عدة حملات عسكرية ضدها.

أما بلدة القويعية فقد انضمت للدعوة الدولة في عام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م. بعد

(١٥) لمعرفة تطور سير الوقعات الحربية بشكل مفصل إرجع إلى: ابن غنام جـ٢ ما بعد ص٧٣. وكذلك: ابن بشر، جـ١، ما بعد ص٥٦. وكذلك حسين خلف خزعل حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من ص٢٣٦ـ٢٤٦، بيروت ١٩٦٨م.

(١٦) أنظر: حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق ص٢٢٣ـ٢٢٨.

أن أعلن أهلها الطاعة وبايعوا الشيخ والإمام محمد بن سعود.

أما عن مدينة أشيقر فقد انضمت للدعوة والدولة بعد قيام الدولة بعدة حملات عسكرية ضدها ظلت من سنة ١١٧٠ - ١١٨٢هـ/١٧٥٦ - ١٧٦٧م.

أما عن مدينة شقراء فكانت من أول المدن التي دخلت في الدعوة وانضمت إلى الدرعية.

أما عن بلدة القصب فقد بايعت الشيخ والإمام محمد بن سعود بعد غزوة قام بها الأمير عبدالعزيز ضدها عام ١١٧٢هـ/١٧٥٨م.

أما عن بلدتي مراة والفرعة فقد انقادتا للدعوة والدولة بعد قيام الأمير عبدالعزيز بغزوات ضدهما في عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م.

الدولة ومنطقة سدير(١٧)

قادت الدولة عدة غزوات ضد بلدان منطقة سدير التي رفضت الدعوة ورفضت الانضواء تحت لواء الدولة السعودية السلفية الناشئة. وقد بدأت غزواتها للمنطقة ابتداء من عام ١١٦٤هـ/١٧٥١م. وظل الأمر في أخذ ورد حتى حوالي عام ١١٧٧هـ/١٧٦٤م. وفي هذه الفترة استطاعت الدولة نشر مبادىء الدعوة في كل من الزلفي وجلاجل والحوطة والجنوبية والروضة والتويم والغاط والداخلة والعودة وحرمة وغيرها من المدن والبلدان في هذه المنطقة.

الدولة ومنطقة الخرج(١٨)

قادت الدولة عدة غزوات ضد منطقة الخرج. وكان يتولى قيادة الجيوش السعودية الأمير عبدالعزيز بن محمد. فمنذ عام ١١٦٥هـ/١٧٥٢م أرسلت الدولة غزوة إلى الدّلم كانت بقيادة مشاري بن معمر. وفي عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م أرسلت غزوة أخرى بقيادة الأمير عبدالعزيز. وظل الأمر كذلك حتى ما بعد دخول السلفيين الرياض. بعدها انقادت الدّلم للدعوة والدولة. وفي عام ١١٧٥هـ/١٧٦١م دخلت نعجان

(١٧) أنظر: حسين خلف خزعل، المرجع السابق، ص ص ٢٢٩ - ٢٣١.

(١٨) أنظر: حسين خلف خزعل، المرجع نفسه، ص ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

ضمن نطاق الدولة السعودية.

لقد ظل هذا الولاء في عهد الإمام محمد بن سعود، وبعد وفاته نقض زيد بن زامل صاحب الدلم العهد، وأخذ زيد يعقد الأحلاف ضد الدرعية. فتحالف مع حويل الوداعين الدوسري صاحب الدواسر ومع آخرين من زعماء الجنوب. وطلب المتحالفون العون من منطقة نجران مقابل دفعهم مبلغًا من المال لحاكمها.

سارت القوات المتحالفة صوب الدرعية واشتبكت في طريقها مع أهالي بلدة الحائر ثم أهالي بلدة ضرماء، وفي نهاية الأمر أصيبت جيوش المتحالفين بخيبة أمل كبيرة عندما منيت بخسائر فادحة(١٩) هذا ما جعل النجرانيين يعودون إلى بلادهم. وبهذا الأسلوب انفض عقد الحلف. ونتيجة لهذا كله عقد زيد بن زامل صلحًا مع الدرعية عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م. إلا أن هذا الصلح لم يدم أمده طويلاً لأن زيدًا نكث بعهده في العام اللاحق(٢٠). مما اضطر الإمام عبدالعزيز بن محمد أن يتخذ إجراءً شديدا ضد زيد حين أمر بعزله عن إمارة الدلم، وعين بدلاً منه سليمان بن إبراهيم بن عفيصان.

وظل زيد يكيد الدسائس للدولة ويؤلب أهالي الجنوب عليها. فقادت الدولة ضده وضد محالفيه عدة حملات تأديبية. والجدير بالذكر أن الدولة لجأت إلى خطة تكتيكية حربية عندما أمرت ببناء «حصن البدع» الواقع إلى الشرق من الدلم والقريب من بلدة السلمية. وقد وضعت في هذا الحصن حامية سعودية ظلت تراقب الوضع العسكري في الجنوب.

وحدث حادث أفاد الدولة السعودية والدعوة السلفية وهو قيام نزاع أسري بين أفراد الأسرة الحاكمة في الخرج حين قُتل الأمير براك بن زيد على يد أبناء عمه الذين لجأوا إلى الدرعية. هذا ما جعل الدرعية ترسل جيشًا قويا بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز إلى الخرج. وبعد هجوم قوي ومركز استولت القوات السعودية على الدلم سنة

(١٩) ابن بشر، جـ١، ص٦٠.
(٢٠) ابن بشر، جـ١، ص٦٦.

١١٩٩هـ/١٧٨٤م. وبعد هذا الحادث أعلنت بلدان الخرج الانضمام للدولة وللدعوة. حيث انتشرت مبادىء الدعوة السلفية بين الأهالي. وأمر الإمام عبدالعزيز على الخرج الأمير سليمان بن عفيصان بعد مقتل أميرها السابق تركي بن زيد بن زامل[٢١].

وعلينا أن نلاحظ أن معظم البلدان كانت قد نقضت عهدها مع الدولة بعد وفاة الإمام محمد بن سعود. إلا أن الإمام عبدالعزيز استطاع أن يعيد هذه البلدان إلى بوتقة الدولة السعودية بعد أن عاهدت وبايعت من جديد.

الدولة ومنطقة القصيم[٢٢]

أعلنت مدينة بريدة ولاءها للدولة والدعوة عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، حين ساعدت حكومة الدرعية حمود الدريبي أمير بريدة ضد أمير عنيزة عبدالله بن أحمد ابن زامل. وكانت القوات السعودية المرسلة لعون حمود الدريبي بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز.

إلا أن راشد الدريبي الذي تولى إمارة بريدة بعد حمود الدريبي تنكر للدرعية وغير موقفه منها. لكن أبناء عمومته ثاروا عليه وأخرجوه من بريدة وأعلنوا انضمامهم إلى الدرعية. ومع هذا عادت بريدة فانتفضت ضد الدرعية التي أرسلت قوات سعودية بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز الذي حاصرها حتى استسلمت عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م. وبعدها اسندت الدرعية إمارة بريدة إلى حجيلان بن حمد العليان.

وفي عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م نقض أهل القصيم عهدهم للدرعية وأعلنوا الحرب ضدها (ما عدا أهل بريدة والرسّ والتنومة). واستنجد القصيميون بسعدون بن عريعر حاكم الأحساء الذي استنفر قواته وبواديه وسار بهم إلى القصيم.

حاصرت قوات سعدون وحلفاؤه مدينة بريدة التي كان يرأسها حجيلان بن حمد

(٢١) ابن بشر، جـ١، ص٧٣.
(٢٢) حسين خزعل، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٧ .

من رؤساء آل أبي عليان. وظلت بريدة محاصرة لمدة شهر، حتى أن سليمان الحجيلاني أخذ يتعاون مع سعدون ويفاوضه، إلا أن حجيلان قتل سليمان وبذلك فسدت المؤامرة وثبتت المدينة في صمودها أمام حصار سعدون. وظل الحصار كذلك مدة أربعة أشهر. ولما شعر سعدون بعدم جدوى الحصار ارتحل عن بريدة.

أما مدينة عنيزة فقد أعلنت ولاءها للدولة بعد أن قاد الأمير سعود حملات عسكرية ضدها، استطاع قتل أميرها عبدالله بن أحمد بن زامل عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

وفي عام ١١٩٦هـ/١٧٨١م تزعمت عنيزة ثورة كبرى ضد الدرعية أنجدها صاحب الأحساء سعدون بن عريعر. ولكن الثورة فشلت واضطرت عنيزة أن تعلن ولاءها للدولة.

وفي عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م قاد الأمير سعود جيشًا من الدرعية واتجه به إلى عنيزة ودار قتال معها كانت نتيجته أن دخلت القوات السعودية المدينة وأسندت إمارتها إلى محمد ابن يحيى.

الدولة ومنطقة جبل شمر(٢٣)

أعلنت المنطقة ولاءها للدولة والدعوة السلفية عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م بعد أن قاد الأمير سعود بن عبدالعزيز حملات عسكرية ضد المنطقة.

ومن هنا نلاحظ أن الدولة السعودية خاضت الكثير من الغزوات في إقليم نجد من أجل نشر الدعوة السلفيّة. واستطاعت في الفترة الواقعة ما بين عام ١١٥٩هـ - ١٢٠٥هـ/١٧٤٦م - ١٧٩٠م أن تنشر مبادىء الدعوة السلفيّة في ربوع البلاد النجدية. وبذلك غدت الدولة في هذه الفترة تضم جميع إقليم نجد. فاتسعت بذلك رقعتها وازداد معها عدد أتباع الدعوة(٢٤).

---

(٢٣) حسين خزعل، ص ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٢٤) أنظر ذلك في: مصورات انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي، نشرتها أمانة أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

وكان على الدولة الناشئة في نجد أن تعمل على نشر الدعوة في أقاليم الجزيرة العربية الأخرى غير إقليم نجد كالأحساء والحجاز وعسير واليمن وعُمان. هذا ما أدى بها إلى خوض العديد من الغزوات مع حكام الأحساء من بني خالد ومع الأشراف في الحجاز ثم مع النجرانيين وغيرهم. وهكذا انطلقت الدولة إلى مرحلة أخرى من مراحل تكوينها. كما أن الدعوة أخذت تخرج خارج نجد لتدخل في الأقاليم الأخرى المجاورة لنجد في جزيرة العرب.

وعلينا أن نلاحظ أن الدولة كانت تستخدم الأسلوب السلمي في نشر الدعوة. وكان هذا الأسلوب يأتي في المحل الأول: فكانت الدولة ترسل مجموعة من علمائها إلى البلدان والأقاليم المجاورة وذلك لإقناع الناس بمبادىء دعوتها عن طريق الأمور السلمية. لكن الكثير من حكام الأقاليم تنكروا للدعوة والدولة. عندها لجأت الدولة إلى الأسلوب الثاني وهو إرسال الحملات العسكرية ضد البلدان والأقاليم التي تنكرت للدعوة ورفضت الانضواء تحت رايتها.

وهكذا نلاحظ أن المرحلة الأولى من مراحل نشر الدعوة السلفيّة وتكوين الدولة السعودية في عهدها الأول كانت مركزة على البلدان المجاورة للدرعيّة ثم تعدت ذلك إلى دائرة أوسع حتى استكمل للدولة ضم جميع بلدان نجد والقضاء على الزعامات السياسية المحلية المعادية لها. وكان هذا الجهد هو بداية توحيد إقليم نجد وضم أجزائه في بوتقة الدولة الجديدة. وبعد ذلك كان على الدولة أن تعدّ نفسها لعمل أكبر لأنها ستجابه في المرحلة اللاحقة قوى سياسية أكبر من القوى السياسية التي عادتها في نجد. ولأنها ستخوض حروبًا أكثر ضراوة وأشد بأسا مما واجهته في البلدان النجدية. ولأنها ستجابه بأوضاع تكاد تكون مختلفة عن الأوضاع التي جابهتها في إقليم نجد. حتى أنها ستجد في بعض المناطق مجابهة مذهبية كانت تزيد في شدة الموقف وصلابته وبالتالي كانت تقوي حدة الصراعات والحروب مما يعقد الأمر ويزيد في صعوبته.

الفصل الثاني

انتشار الدعوة السلفية
واتساع الدولة السعودية الأولى في مناطق خارج إقليم نجد

- علاقة الدولة بحاكم نجران
- علاقة الدولة ببني خالد في الأحساء

الفصل الثاني

انتشار الدعوة السلفية
واتساع الدولة السعودية الأولى في مناطق خارج إقليم نجد

بعد أن شاع أمر الدعوة السلفية في بلدان نجد وسمع بها أهالي البلاد المجاورة، وبعد أن أخذت الدولة السعودية الأولى تعدّ الحملات العسكرية وترسلها إلى البلدان من أجل نشر الدعوة فيها ومن أجل انضمامها إلى الدولة بعد فشل الجهد السلمي في تحقيق أهداف الدولة وأغراضها. واجهت الدولة السعودية الأولى في مطلع عهد تكوينها تحديات كبيرة من البلدان النجدية وغير النجدية. وكان على الدولة مواجهة هذا التحدي حفاظًا على وجودها وهدفها. فاصطدمت بتحد عسكري قام به حاكم نجران ضدها من الجنوب. وكان ها النمط من التحدي وغيره ما هو إلاّ موجة اندفاع عسكري قام به أعداء الدولة والدعوة، الغاية منه إضعاف الدولة السعودية الأولى بخاصة وهي مازالت طرية العود كمرحلة من مراحل إجهاضها وبالتالي القضاء عليها.

علاقة الدولة بحاكم نجران

كان العجمان قد أغاروا على جماعة من سبيع كانت تسكن بلدة الحائر، وكانت متحالفة مع الدرعية. لذا قررت الدرعية محاربة أولئك العجمان الذين اعتدوا على حلفائها من سبيع. فاتجه الأمي عبدالعزيز بن محمد بقوات الدرعية إلى قذلة حيث يقيم العجمان وكانت نتيجة الاشتباكات أن انتصر جيش الدرعية على جماعة العجمان الذين اتصلوا بحاكم نجران وطلبوا منه مساعدتهم ضد الدرعية. وكان حاكم نجران وقتذاك حسن بن هبة الله الشيعي المذهب. جمع حسن جيشًا كثيفًا واتجه به إلى الحائر وشدد حصاره عليها. ولما علمت الدرعية بهذا الهجوم أرسلت جيشًا كبيرًا قاده عبدالعزيز بن محمد. وكانت النتيجة أن لحقت هزيمة ساحقة بجيش الدرعية وقتل منه

حوالي أربعمائة وأسر منه خلق كثير، وكان ذلك عام ١١٧٨هـ/١٧٦٤م[1].

لقد استطاع السلفيون عقد صلح مع حاكم نجران تبادلوا فيه الأسرى. يقول المؤرخ حسين بن غنام عن سبب الهزيمة ما يلي:[2]

«وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذي يكون غالبًا به المعاتبة والعقاب ويصير سببًا إلى الابتلاء من رب الأرباب. فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالي الرقاب حمي بينهم الوطيس. ولم يحصل بين الأطفال تنفيس وبقي فرسان الإسلام تجول ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكرمة أوليائه وخذلان أعدائه وتبين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحقت عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب التحقيق واليقين أربعا من عقود المئة..»

علاقة الدولة ببني خالد في الأحساء

يبدأ تاريخ بني خالد في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة، بعد ضعف الدولة العثمانية في الأحساء. استطاع بعدها براك بن عريعر آل حميد من بني خالد أن يخرج الحامية العثمانية من الأحساء ويستولي عليها. ومن هنا أخذ بنو خالد يتوسعون ويمدون نفوذهم إلى الأقاليم المجاورة للأحساء كلما سنحت لهم الفرصة.[3]

لقد عرفنا موقف سليمان بن محمد بن براك بن عريعر من دعوة الشيخ محمد بن

(١) حسين بن غنام، جـ٢، ص٦٦. يذكر المؤرخ ابن بشر، جـ١، ص٤٤، أن القتلى كانوا حوالي خمسمائة.

(٢) أنظر: ابن غنام، جـ٢، ص ص ٦٦ - ٦٧.

(٣) إرجع إلى ما كتب عن بني خالد في كتاب الدكتور أحمد أبو حاكمة «محاضرات في تاريخ شرقي جزيرة العرب في العصور الحديثة» ما بعد ص١٢٥.
أنظر كذلك: ابن بشر، عنوان المجد، في السوابق التي أوردها في هذا المؤلف حيث أننا نجد الكثير في هذه السوابق عن تاريخ بني خالد. وكذلك فإن ابن بشر يفيدنا كثيراً عن موقف بني خالد من الدعوة السلفية والدولة السعودية.

عبدالوهاب حين أوعز للأمير عثمان بن معمر أن يخرج الشيخ من العيينة. وكان بنو خالـد من ذوي السلطة والنفـوذ في منـطقـة العارض وقتذاك وعندما أخذت الدعوة الإصلاحية تقوى وتتركز في نجد أخذت تلقى معارضة بني خالد في الأحساء.

وهنا نتساءل لماذا أقلقت الدعوة بني خالد؟ فالجواب يعود لأن هذه القوة الجديدة في نجـد هددت مصـالـح بني خالـد فيهـا بخاصة المصالح الاقتصادية القائمة على التجارة. كما أن بني خالد رأوا أن قيام الدولة السعودية في نجد ما هو إلا بداية الطريق وستعمل هذه الدولة على نشر الدعوة السلفية ومد نفوذها وتوسيع رقعة حكمها. وبذلك تكون الأحساء أول المناطق المعرضة لهذا التوسع السلفي.

إن أول تصادم وقع بين السلفيين وبين بني خالد كان في عهد الإمام محمد بن سعود وفي عهد الأمير سليمان بن محمد من بني خالد. وكان سليمان بن محمد وقتذاك من أصحاب النفوذ الواسع في المنطقة. وكان بمقدوره أن يؤثر على الأحداث فيها إلا أن سليمان كان يتعرض في الداخل لمنافسة شديدة من زعماء بني خالد مثل دجين ومنيع ولدي سعدون. وانتهت هذه المنافسة بطرد سليمان من الأحساء إلى الخرج حيث توفي هناك وخلفه في الحكم عريعر بن دجين. وكان الحكم السلفي مازال في بداية عمله الأول، لذا كانت قوة الدولة السعودية وقتذاك محدودة بحيث أنها كانت مازالت في مركز لم يكن ليأهلها شن الغزوات على الأحساء.(٤)

بدأ عريعر يعدّ العدة لحرب الدرعية، حيث القوة السعودية النامية. هذا ما دعا السلفيين إلى تحصين الدرعية والبلدان المجاورة لها. ففي سنة ١١٨٢هـ/١٧٥٩م اتجه عريعر بقواته صوب الدرعية إلا أنه اصطدم بمقاومة شديدة في بلدة الجبيلة هذا ما أجبره على العودة إلى الأحساء بدون طائل.(٥)

(٤) شن السلفيون غارة على الأحساء ووصلوا إلى المطيرفي وقتلوا عددًا من الرجال وغنموا الغنائم، ثم ساروا إلى بلدة المبرز. وبعدها عادت الحملة إلى نجد.
أنظر: إبن غنام، جـ٢، ص٦٢. أنظر كذلك: ابن بشر، جـ١، ص٤٣.

(٥) ابن بشر، جـ١، ص٤٠.

وبعد ستة أعوام من هذه الحملة جرب عريعر أن يتعاون مع حسن بن هبة الله رئيس نجران ضد الدرعية إلا أنه لم يوفق في هذا التحالف. فغزا الدرعية بقوته فقط وكانت النتيجة فاشلة(٦).

ونلاحظ هنا أن قوة الدرعية أصبحت كافية لرد غزوات بني خالد وغزوات الجنوب فهي في موقف الآن أقوى من الموقف الأول. كما أن مدنها أصبحت مدن قوية ومحصنة وبامكانها الدفاع عن نفسها.

وعندما دخلت معظم البلاد النجدية في بوتقة الدولة السعودية واعتنقت مبادىء دعوتها في منطقة الأحساء وتنهي مقاومة بني خالد فيها.

لقد كانت الظروف الداخلية للأحساء في الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي مهيأة للدولة السعودية في أن تتدخل في أمور الأحساء الداخلية. والظروف هذه هي التنافس القائم بين بني خالد أنفسهم حول السلطة، وهذا ما حدث بالفعل بين أبناء عريعر بن دجين. فكانت هذه الأمور الداخلية من العوامل التي أدت بالإمام عبدالعزيز أن يتدخل في شئون الأحساء الداخلية.

استمر النزاع بين الدولة السعودية وبني خالد في عهد الإمام عبدالعزيز إذ أخذت الدولة ترسل قوات إلى حدود الأحساء، وأخذت قوات السلفيين تتغلغل في الأراضي المتاخمة للحدود النجدية الأحسائية. وهنا نلاحظ كيف أن الدولة أخذت تنطلق من مركز أقوى مما كانت عليه في عهد الإمام السابق محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.

أحس حكام بني خالد بحراجة موقفهم. وأحسوا كذلك أن الدولة السعودية سائرة في طريق التوسع والنمو في نشر دعوتها وفي تثبيت سيادتها على المناطق النجدية وخارجها. ورأى بنو خالد أن هذا سيكون على حساب مركزهم وسلطتهم لذا قرر

---

(٦) ابن بشر، جـ١، ص٤٥. إن حسن هبة الله شيعي المذهب ويذكر كتاب لمع الشهاب الاسم بـ«حسن المكرمي» ويذكر لمع الشهاب أن عريعر بذل جهدًا كبيرًا في إقناع حسن بالتحالف معه ضد الدرعية والقيام بهجوم مشترك عليها. وقد وعد عريعر حسنًا بان يدفع له سنويًا مئة ألف قطعة ذهبية إذا نقض الصلح الذي وقعه مع السلفيين بعد وقعة الحائر سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، أو ما تسمى بوقعة النجرانيين.

عريعر أن يقوم بحملات عسكرية ضد الدرعية كمحاولة منه لإبعاد هذا الخطر الذي أخذ يحس به بشكل ملموس.

ففي عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤م شن عريعر هجومًا على منطقة القصيم وكان هجومه على بلدة بريدة. واستطاع إقصاء أميرها عبدالله بن حسن وأسرته المؤيدة للسلفيين وعين عليها أميرًا إسمه راشد الدريبي. وبعد هذا النجاح هاجم عريعر الدرعية نفسها، إلا أنه توفي في الخابية ـ قرب النبقية ـ بعد شهرين من انسحابه من مدينة بريدة(٧). ويعتبر موت هذا الحاكم من حكام بني خالد الحد الفاصل بين دوري القوة والضعف في تاريخ بني خالد. إذ بعد موت هذا الحاكم أصيبت كفة بني خالد بالخلل والاضطراب بسبب تنازعهم، وقد أدى هذا إلى ضعف بني خالد وإلى عدم استطاعتهم السيطرة على أمور الجند والحكم في بلادهم.

لقد حاول سعدون بن عريعر عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م أن يتحالف مع زيد بن زامل للقيام بحملات عسكرية ضد الدرعية لعله يقوي مركزه في الأحساء بعد ما حل بالأسرة الحاكمة من بني خالد من سمعة سيئة عند سكان الأحساء لكثرة الفتن التي انتابت الأسرة الحاكمة وما نتج عن هذا الخلاف الأسري من تأثيرات على أهالي الأحساء.

وفي عام ١١٩٣هـ/١٧٧٩م حاول سعدون إثارة بعض المدن النجدية ضد الدولة السعودية الأولى. وقد هاجم سعدون وأتباعه المجمعة بناءً على دعوة أهل حرمة وأهل الزلفي ولكن هذه الحملة باءت بالفشل.

وفي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م قدم سعدون مساعدات عسكرية لأهل الدلم ضد الحامية السعودية الموجودة في حصن «البدع» السعودي. وكذلك سار سعدون عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م بقواته إلى منطقة القصيم لمساعدة هذه المنطقة ضد بريدة، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل.

---

(٧) ابن غنام، جـ٢، ص٦٦-٦٧.

بدأ الأمير سعود يشن الغزوات ضد الأحساء منذ عام ١١٩٨هـ/١٧٨٣م . ففي هذا العام سار سعود بقوات سلفية وصلت حتى قرية العيون . فغنمت الغنائم الكثيرة وقفلت عائدة إلى نجد .

وفي عام ١١٩٩هـ/١٧٨٤م واصل الأمير سعود عملياته الاستفزازية ضد الأحساء وظل الوضع العسكري كذلك حتى عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م حيث استطاع الأمير سعود بن عبدالعزيز أن يدخل بقواته الأحساء بعد انكسار براك وجيشه في معركة الشيط شرقي اللصافة . وبعد هذه المعركة أرسل الأمير سعود مندوبين عنه إلى أهالي الأحساء يبينون لهم مبادىء الدعوة السلفية ويدعونهم إلى الدخول فيها ويقدمون الولاء للدولة السعودية . واجتمع زعماء الأحساء بالأمير عند عين نجم وقدموا طاعتهم له .

وفي الأحساء أمر الأمير سعود بهدم القباب والأضرحة ومظاهر الشرك . وأمر بإقامة الشعائر الدينية والصلوات في المساجد . وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية في الأحساء ومحمد الحملي أميراً إدارياً في المنطقة وعين حسين أبو سبيت مسئولاً عن بيت المال في الإقليم .

لكن الأهالي في الأحساء نقضوا العهد بعد عودة الأمير سعود إلى الدرعية ، هذا ما جعل الدولة ترسل قوات ضخمة بقياة الأمير سعود عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، دكت قواعد الجماعة التي نقضت العهد .

ومن المفوف تقدمت القوات السعودية بقيادة إبراهيم بن عفيصان فدخلت القطيف وتاروت ، وبذلك تمكنت الدولة السعودية الأولى من دخول منطقة الأحساء بكاملها . وقد شرعت الدولة السعودية في تعميم مبادىء دعوتها في المنطقة . وشرعت كذلك في مرحلة تطبيق مبادىء الدعوة السلفية فيها .

وتكون الدولة السعودية بعد دخولها الأحساء قد خرجت من دائرة إقليم نجد وأصبحت بعد ضم الأحساء تطل بحدودها على مياه الخليج العربي وأعطاها هذا مكسباً استراتيجياً بالإضافة إلى ما حققته من أهداف أخرى .

ونلاحظ كذلك أن الدولة السعودية أصبحت مجاورة في حدودها للنفوذ العثماني في بلاد العراق. وهذا بدوره أدى إلى احتكاكات مسلحة بين السلفيين وبين ولاة العراق العثمانيين وقبائل المنتفق المقيمة في جنوب العراق بخاصة وأن عددًا من بني خالد قد لجأوا عند هذه القبائل.

وتكون الدولة السعودية الأولى بعد دخولها الأحساء قد شكلت خطرًا كبيرًا يهدد النفوذ العثماني في المنطقة. وكان هذا مؤشرًا لقيام صراع طويل ومرير بين الدولة السعودية والدولة العثمانية متمثلاً لك في ولاية العراق ثم في الولايات العثمانية العربية الأخرى كولاية الشام وولاية مصر.

وقد لفت التطور السياسي المحلي الوطني نظر الدول الأجنبية الكبرى كبريطانيا وفرنسا فأخذتا تراقبان هذا التطور وتتابعان مراحله ومشواره. وهذا بدوره زاد في حدة الصراع الدوليّ في المناطق الخليجية. وقد أزعج هذا التطور السياسي المحلي والوطني الدول الأجنبية الكبرى التي تحافظ على تثبيت استعمارها وضمان سلامة استمراره تحت شعار مبدأ حفظ التوازن الدوليّ، والمحافظة على المواصلات البحريّة الدوليّة.

الفصل الثالث

الموقف العثماني
من الدعوة السلفيّة والدولة السعوديّة الأولى

اختلفت نظرة الدولة العثمانية من الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى باختلاف المكان الذي امتدت فيه الدعوة والدولة. فنظرت الدولة العثمانية للدولة السعودية ودعوتها وهي في نجد على أنها انتفاضة بدوية كعادة القبائل في المنطقة، لأن نجدًا في نظر الدولة العثمانية إقليم بعيد عن مراكزها الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية في جزيرة العرب وخارجها. ومع أن الدولة العثمانية أحست بأن الدعوة والدولة السعودية تحدٍ ديني وسياسي لها إلا أن موقفها تجاههما كان مختلفًا. فعندما امتدت الدعوة والدولة إلى جبل شمر والأحساء، رأت الدولة العثمانية الوقوف في وجه هذا التحول القائم في أرض الجزيرة العربية فاتخذت موقفًا معاديًا لهما. ورأت أن تستخدم عدة قوى سياسية لضرب الدولة السعودية.

الموقف العثماني من الدولة السعودية الأولى
عن طريق ولاة العراق

بدأت تتجمع عوامل الاحتكاك بين الدولة العثمانية في العراق وبين الدولة السعودية الأولى. وبدأت ملامح الاصطدامات بين الطرفين وشيكة الوقوع. لقد أصبح العراق العثماني بخاصة في جنوبه مركزًا لتجمع القوى المعارضة للدولة السعودية ودعوتها السلفية. وبرزت عوامل الاحتكاك بين الطرفين بعد حملة قام بها ثويني بن عبدالله رئيس قبائل المنتفق على القصيم عام ١٢٠١هـ/١٧٨٦م ومعه جموع غفيرة من المنتفق وأهل المجرة والزبير وبوادي شمّر وغالبيّة طي. ولما وصل إلى بلدة التنومة نازله

الفصل الثالث

الموقف العثمانيّ
من الدعوة السلفيّة والدولة السعوديّة الأولى

أولاً: الموقف العثماني عن طريق ولاة العراق

- حملة علي كيخيا

ثانيًا: موقف أشراف الحجاز وولاة الشام من الدولة السعودية الأولى

- موقف أشراف الحجاز
- موقف ولاة الشام

ثالثًا: موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها محمد علي

- الحملة الأولى (حملة طوسون)
- وصول محمد علي إلى جدة
- حملة إبراهيم باشا
- معارك الدرعية

أهلها.فضربها بمدافعه ودخلها عنوة وقتل الكثير من أهلها ونهب الكثير منها. ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة بريدة فحاصرها ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها عندما سمع بوقوع الاضطرابات في بلاده وقفل عائدًا إلى وطنه[1]. وقد صعدت هذه الحملة من حدة الموقف وصارت سببًا قويًا من أسباب الاحتكاك المباشر بين الدولة السعودية وبين قبائل المنتفق والظفير في جنوب العراق. وأصبح العراق العثماني المركز الرئيس الذي تعدّ منه الحملات العسكرية العثمانية ضد الدولة السعودية.

هذا إلى جانب أن جنوب العراق يحوي الكثير من القباب والأضرحة والمزارات التي تخالف مبادىء الدعوة الإصلاحية التي قامت من أجل تخليص الدين من البدع والخرافات.

وقد أرسل الإمام عبدالعزيز رسالة إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد العثماني مصحوبة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» وطلب من الوالي أن يجمع علماء بغداد للنظر في الكتاب واعتناق مبادىء الدعوة السلفية. إلا أن جواب الوالي جاء شديدًا حين قال: «فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتابًا جامعًا لشتات من المسائل مشتملاً على عدة رسائل لكنه قد جمع فيه بين غث وثمين وقوي ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطرًا ولم يمعن فيها نظرًا ولا قرأ على أحد ممن يهديه إلى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التي هي الصراط المستقيم[2]».

والجدير بالذكر أن الحكم العثماني في العراق كان مضطربًا وقتذاك وذلك لكثرة الانقسامات والفتن والتمردات القبلية ضد السلطة العثمانية. وكانت مثل هذه الظروف تشكل فرصة كبيرة للسلفيين في صراعهم ضد ولاة الدولة العثمانية في العراق.

---

(١) حسين خزعل، ص٢٩٥.

(٢) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» و«تذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب». طبع القاهرة: ١٩٠١م/١٣١٩هـ، ص ص ١٥ - ١٦.

وكرد فعل على اعتداءات قبائل المنتفق على حدود البلاد السعودية السلفية وكرد فعل للإجابة على علماء بغداد وموقفهم من الدعوة، وكرد فعل لحماية والي بغداد للفارين من الدولة السعودية، رأى الإمام عبدالعزيز بن محمد أن يوجه حملات عسكرية ضد جنوب العراق. ففي عام ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م أرسل قوات بقيادة إبنه سعود الذي فاجأ قبائل المنتفق في مكان يعرف بالروضتين (بين المطلاع وسفوان) فكانت هذه الحملة هي أول حملة سعودية تدخل حدود العراق. وبعد ذلك عادت قوات الأمير سعود بعد قيامها بحملة أشبه بجس النبض وإظهار قوة الدولة السعودية بأنها قادرة على رد الاعتداءات التي تقوم بها قبائل المنتفق والسلطات العثمانية في العراق على الأرض التابعة لها.

وفي عام ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م غزا الأمير سعود قبائل الظفير المقيمة على الحدود العراقية في موضع الحجرة. وهكذا نلاحظ أن الدولة السعودية أصبحت في مركز قوي تستطيع منه تحدي ولاة العراق العثمانيين بخاصة بعد أن تمكنت من تثبيت حكمها في الأحساء. وهكذا فقد تعرض جنوب العراق للغزو السعودي المتلاحق عليه. وكانت فرصة سانحة للدولة السعودية لأن تؤدب قبائل المنتفق والظفير والقوى المعارضة التي هربت إلى هذه المنطقة. وبعد هذا الغزو المتلاحق على جنوب العراق دارت مكاتبات بين السلطان العثماني وبين والي بغداد سليمان باشا الكبير من أجل تسيير حملات عثمانية قوية ضد الدرعية. إلا أن سليمان باشا كان يقدر صعوبة نزول جيشه في الصحراء. ويقدر ما ستقوم به القبائل الساكنة جنوب البصرة من إنتفاضات وقلاقل ضد الدولة، ويقدر الصعوبات التي تعترض الجيش العثماني المنظم في مثل هذه الحروب التي لم يعتادوا عليها وليست لديهم الخبرة الكافية في ممارستها ومعرفة طبيعتها.

رأى سليمان باشا أن يعمل على ضرب السلفيين بالقبائل المحلية. فأفرج عن ثويني المسجون وأسند إليه إمارة المنتفق بدلاً من حمود بن ثامر وعينه قائدًا للحملة الموجهة ضد السلفيين. وكان الجيش الذي سار به ثويني هذه المرة يتكون من عشائر المنتفق والزبير والبصرة وغيرهم.

إتجه ثويني نحو الأحساء ولم يتوجه نحو القصيم أو شمّر لأن حملته كانت تضم عددًا من بني خالد. ولأن الطريق إلى الأحساء أكثر سهولة بخاصة وأنه يستطيع

استعمال المراكب والسفن في نقل الجنود والمؤن والعتاد. ولأن الأحساء مركز تموين سهل لقواته.

ومع هذا فإن حملة ثويني باءت بالفشل لأنها كانت في الواقع تحوي عناصر متباينة. ولأن رؤساءها متحاسدين الكل منهم يهدف لنيل الزعامة. ولأن ثويني قائد الحملة كان قد لقي مصرعه على يد أحد عبيد بني خالد[٣].

وهكذا فشلت حملة ثويني وانتصرت القوات السلفية التي أخذت تطارد فلول القوات العراقية حتى حدود الكويت. واستولت على الكثير من معداتها ومدافعها وعتادها وغنمت الكثير من الغنائم.

وكرد فعل لحملة ثويني قام الأمير سعود بهجوم على جنوب العراق وامتد في توغله حتى قرية «أم العباس» وشن أثناء غارته هجومًا على قبائل شمر والظفير وغيرهما من عربان المنطقة.

وقد جاءت أوامر سلطانية مشددة تأمر سليمان باشا بأن يعدّ حملة قوية من الجنود النظاميين ضد السلفيين[٤] بخاصة بعد فشل حملة ثويني. ويكون العثمانيون قد جربوا طريقة ضرب السلفيين عن طريق القوى المحلية المعادية لهم. ولما رأى العثمانيون عدم نجاح هذا الأسلوب قرروا اتخاذ استراتيجية جديدة تعتمد فيها الدولة على الجيش النظامي.

حملة على كيخيا

بذل سليمان باشا جهدًا كبيرًا في إعداد حملة على الأحساء ضمت الجند المدرب والعشائر والأكراد وقبائل الخزاعل الشيعية. وقد شاهد السير هارفورد جونز بريدجز

---

(٣) عثمان بن بشر، جـ١، ص١٠٢.
أنظر كذلك: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٦، ص١٢٤، طبع بغداد: ١٩٥٩م.

(٤) د. عبدالحميد البطريق، إبراهيم باشا في بلاد العرب، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، ص٤، القاهرة: ١٩٤٨م.

الوكيل الإنجليزي في بغداد هذه الاستعدادات الضخمة التي كانت تقوم في بغداد عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م(٥).

انقسمت الحملة في البصرة إلى قسمين: فريق الفرسان بقيادة علي باشا الذي سار بهم برًّا. وفريق من المشاة والمدفعية الثقيلة كان قد سار عن طريق البحر بواسطة السفن التي اشترتها الدولة العثمانية واستأجرتها من مناطق الخليج. ومن هنا نلاحظ مدى النفوذ العثماني في المنطقة على الرغم من عدم تواجده في بعض الأماكن الخليجية. وهذا يوضح مفهوم التبعية السياسية للعثمانيين.

ساهم العتوب في الكويت والبحرين في إعداد هذه الحملة لأن الجميع كانوا ينظرون للدولة السعودية نظرة بغض وحسد من جهة ونظرة خوف من جهة ثانية. إضافة إلى هذا كله الولاء الذي كان يكنه الجميع للدولة العثمانية الإسلامية وما يعنيه وجودها في عملية مقارعة الحكم الأجنبي.

وصلت الحملة إلى المبرز والهفوف وحاصرت الحصنين السعوديين فيهما. وكان حصن المبرز بقيادة سليمان بن محمد بن ماجد وكان قائد حصن الهفوف إبراهيم بن سليمان بن عفيصان. وقد صمد الموجودون في الحصن أمام هذا الحصار مما جعل الجند العثماني يتململ. وبدأت وسائل نقله تنقص. وكذلك نقصت المواد الغذائية. وقد أوجد هذا حالة من الفوضى في صفوف جند علي باشا الذي يئس من نجاح حملته. فاضطر أخيرًا إلى العودة إلى بغداد دون أن يحرز نصرًا. وأثناء عودته كانت القوات السعودية القادمة من الدرعية قد وصلت لمساعدة قوات السلفيين في الأحساء. ولما علم الأمير سعود بانسحاب قوات علي باشا سار باتجاه الشمال ليلحق بها. وهناك عند الظهران عسكر الأمير سعود في مكان يدعى «ثاج». وكان علي باشا قد عسكر في مكان يدعى «الشباك» بالقرب من ثاج. وقامت مناوشات بين الطرفين كانت دون جدوى ولم يكتب النصر لأحدهما على الآخر.

---

(٥) Brydges Csir Harford Jones. An account of his Majesty's mission to the Court of Persia in the Years: 1807-1810 to which is appended. Abrief History of the Wahhaby. vol. 2, p. 19 (London 1834).

رأى علي باشا ضرورة مفاوضة الأمير سعود بعد أن فشل في تحقيق انتصار على السلفيين. وقد اشترط علي باشا على الأمير سعود عدة شروط لتوقيع صلح بين العثمانيين في العراق وبين السلفيين. منها[٦]:

١ - أن يرحل السلفيون عن الأحساء.
٢ - أن يدفع السلفيون تكاليف الحملة العثمانية.
٣ - أن يعيد السلفيون كل ما غنموه من القوات العراقية أثناء حملة ثويني على الدولة السعودية الأولى.
٤ - أن لا يتعرض السلفيون لقوافل الحجاج الذين يأتون من العراق ويمرون بالأراضي التابعة لهم. هذا ويتعهد السلفيون بالمحافظة على الأمن وسلامة الطرق في أراضيهم.

والملاحظ على شروط الصلح التي طلبها علي باشا من السلفيين بأنها تمثل شروطًا غير واقعية بخاصة وأنها جاءت في ظرف يمثل تدهور الحملة وتراجعها. وأعتقد أن علي باشا طالب بهذه الشروط ليبرر بها عدة أمور منها:

١ - كي يقلل من حدة الصدمة العثمانية الناتجة عن الموقف العسكري للحملة ومدى الصعوبات التي اعترضتها حتى اضطرتها إلى الانسحاب من الأحساء والعودة إلى العراق دون أن تحقق هدفها.
٢ - كي يبين للمسئولين العثمانيين بأن عودته إلى العراق كانت بعد أن اشترط على السلفيين عدة شروط كلها في جانب العثمانيين. والشروط التي طلبها هي تمثل الشروط التي تمليها السلطة المتنفذة على السلطة التابعة.
٣ - كي يقنع قواته بأنه لم يهزم بالرغم من تناقضات الموقف وصعوباته، وهذا - في اعتقاده - يفسر بعدم اصطدام قواته بمعارك فاصلة بالقوات السلفية من جهة ويفسر أيضًا بالشروط القاسية التي طلبها من الأمير سعود من جهة ثانية قبل أن ينسحب بشكل نهائي إلى العراق.

(٦) عثمان بن سند، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، ص٢٦.
- رسول الكركولي، دوحة الوزراء، ص٢٠٩.

ومع أن السلفيين كانوا في وضع عسكري أفضل من وضع حملة علي كيخيا إلاّ أن الأمير سعود ردّ على رسالة علي باشا التي تحمل شروط الصلح برسالة لا يستشف منها قبول الشروط وإنما أرجأ ذلك لما يراه والده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وهو يعلم تمامًا بأن والده لا يوافق على شرط واحد من هذه الشروط، وإنما هي فرصة لكسب الوقت من جهة ولضمان انسحاب الوقات العثمانية من الأحساء من جهة أخرى، وهذا في حد ذاته مكسب كبير للسلفيين لأنه يخفف عليهم أعباء العمليات العسكرية وضغطها. وقد رد سعود علي باشا برسالة جاء فيها(٧):

«جاءنا كتابكم وفهمنا معناه: فأما الحسا فهي قرية خارجة عن حكم الروم ولا تساوي التعب وما فيها شيء يوجب الشقاق، وأما الأطواب (الأسلاب) فهي عند والدي في الدرعية إذا صدرت إليه أعرض الحال بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضًا يكتب له، فإن صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم وأنا الكفيل بها حتى اوصلها إلى البصرة. وأما مصاريفكم فإني لم أملك من الأمر شيئًا والشورى في يد والدي، وأما الأمنية (الأمن) فهي التي لازلنا نقاتل الناس عليها حتى جعلنا الأرض كلها وجميع المسلمين مشتركين فيها. وصار الذئب لا يقدر يضر الشاة في أحكامنا».

ويمكن التعرف على أسباب فشل حملة علي باشا من خلال ما تحويه هذه الحملة من عناصر عسكرية متباينة. وإلى التشاحن الذي دب بين صفوف شيوخ العشائر البدوية التي شاركت في الحملة المذكورة. هذا إلى جانب النشاط الدفاعي ثم الهجومي الذي قام به السلفيون ضد قوات الحملة في الهفوف وغيرها، إضافة إلى هذا كله خبرة القوات السعودية في حروب الصحراء وتحملها ما ينتج عن هذه الحروب من صعوبات. وفي الجانب الآخر فإن قوات علي باشا لم تكن لديها الخبرة الكافية في حروب الصحراء. ولم تكن لديها الاستعداد لتحمل متاعب هذه الحروب. أضف إلى هذا قلة خبرة علي باشا نفسه في مثل هذه الحروب وسوء إدارته في معاملة قواته بخاصة قوات العشائر التي تلعب دورًا كبيرًا في مثل هذه الحروب(٨). ويذكر صاحب لمع الشهاب في

(٧) عثمان بن سند، المرجع السابق، ص٢٦.

(٨) إرجع في ذلك إلى: لمع الشهاب، ص١٣٠، ١٣١. Brydges. Vol. 2, pp. 27-28

سيرة محمد بن عبدالوهاب أن انقسامًا حدث بين قادة علي باشا وكان ذلك بتدبير إبراهيم بن عفيصان الذي قدم الأموال لعدد من هؤلاء. وكانت هناك مكاتبات بينهم وبين الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي تمكن من إغرائهم عن طريق الهدايا والهبات والأموال.

وقد أثبت فشل حملة علي باشا على الأحساء أن ليس بمقدور ولاة بغداد عمل أي شيء يمكن به القضاء على الدولة السعودية الأولى أو على الأقل إضعافها بشكل لا تقوى معه من الامتداد خارج نجد. وقد أدى هذا الأمر إلى اقتناع السلطات العثمانية في استنبول بأن العراق العثماني لا يصلح بحال من الأحوال أن يقود الحركة الهجومية العثمانية ضد السلفيين. وهذا بدوره أدى إلى استعانة السلطات العثمانية بالولايات العثمانية الأخرى غير العراق وإسناد مهمة القضاء على الدولة السعودية إليها.

وكان رد الفعل السعودي عظيمًا ضد جنوب العراق بخاصة بعد أن قتل الخزاعل الشيعية عددًا كبيرًا من أتباع الدولة السعودية عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م قرب النجف، وصل إلى حوالي ثلاثمائة رجل. وقد احتج السعوديون لدى والي بغداد فأرسل الوالي مندوبه عبدالعزيز بن عبدالله الشاوي إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد لتسوية الأمر بعد عودته من أداء فريضة الحج. وقد فشل هذا المبعوث وأخبر والي بغداد عن نية الدرعية في أن يكون لها بلاد غرب الفرات من عانة إلى البصرة[٩].

وفي عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م هاجمت القوات السلفية جنوب العراق وهدمت القباب والأضرحة والمزارات وهدمت قبة قبر الحسين[١٠]. هذا ما جعل الدولة العثمانية ترسل أوامرها المشددة إلى والي بغداد من أجل أن يوقف الحملات السلفية. كما أن الشاه أخذ يضغط على والي بغداد ويطلب منه أن يسمح لقواته بعبور العراق والزحف على الأحساء لمحاربة السلفيين هناك[١١].

---

(٩) عثمان بن سند، ص ٢٧.

(١٠) عثمان بن سند، ص ٢٨ وأنظر أيضًا: Hogarth. Arabia. p.102 (Oxford 1922).

(١١) أنظر: Brydges. Vol. 2, pp. 27-28.

وظلت الحملات السلفية تدخل مناطق جنوب العراق حتى أنه في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م وصلت تلك الحملات إلى أسوار مدينة كربلاء مرة ثانية(١٢). وبعد هذا التاريخ توقفت الحملات السلفية على جنوب العراق لانشغالها في الإعداد لمواجهة خطر الزحف العسكري القادم من ولاية مصر عن طريق واليها محمد علي الذي نفذ أوامر السلطان فأعد الحملات ضد الدرعية.

وعلينا أن نلاحظ أن ولاة العراق اتخذوا استراتيجية جديدة وهي تحصين المدن والقرى في جنوب العراق وذلك لتكون في موقف دفاعي قوي لأن دور الهجوم أصبح قد انقضى عهده وصار موقف ولاة العراق موقفًا دفاعيا فقط. ويمكن القول إن كل الحملات العسكرية العثمانية القادمة من العراق ضد الدولة السعودية الأولى بعد عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م كانت حملات ضعيفة ولا فائدة ترجى منها وإنما هي إضاعة للوقت وليثبت ولاتها للسلطان بأنهم ينفذون أوامره.

موقف أشراف الحجاز وولاة الشام من الدولة السعودية الأولى

موقف أشراف الحجاز:

لم يكن موقف أشراف الحجاز بأفضل من غيره بالنسبة للدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية. وبحكم أهمية الحجاز من الناحية الدينية، حيث تشكل قاعدة رئيسة في هذا المجال. ففيها قبلة المسلمين التي يحجون إليها كل سنة، ومن هذا الإلتقاء برزت نقاط احتكاك بين السلفيين والأشراف. فكان أن رفض الشريف مسعود بن سعيد السماح للحجاج السلفيين بأداء فريضة الحج ومنعهم من دخول مكة المشرفة. وطلب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود أن يرسلا بعض علماء الدعوة لمناظرة علماء مكة. وبعد المناظرة لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق.

وفي عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م طلب الشريف أحمد بن سعيد من الإمام عبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يرسلا عالمًا سلفيا ليوضح له ولعلماء الحجاز

(١٢) عثمان بن بشر، جـ١، ص١٤٠.

حقيقة الدعوة السلفية ومبادئها. فأرسلت الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين ومعه رسالة من محمد بن عبدالوهاب توضح مبادىء الدعوة، ومعه كذلك هدايا إلى الشريف أحمد. ويمكن القول إن الموقف بدأ يسير نوعًا ما إلى التحسن عندما اقتنع الشريف وعلماء مكة بمبادىء الدعوة[١٣]. والملاحظ أن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً. ويبدو لنا أن الشريف أحمد كان في وضع داخلي لا يسمح له بأن تكون علاقته مع جيرانه علاقة توتر، لذا فضل أن يكون في موقف أكثر ملاينة من سلفه الشريف مسعود.

وفي عهد الشريف سرور بن مساعد الذي خلف الشريف أحمد بن سعيد أرسلت الدرعية طلبًا للشريف كي يسمح للحجاج السلفيين بزيارة مكة لأداء فريضة الحج. إلا أن الشريف اشترط عليهم دفع ضريبة مقابل هذه الزيارة. هذا ما دعا السلفيين إلى رفض مطلبه. وبعد سنتين دخل الحجاج السلفيون مكة بعد أن قدمت الهدايا للشريف سرور. وكان عدد الحجاج السلفيين حوالي ثلاثمائة حاج[١٤].

وعلينا أن نلاحظ هنا أن مبادىء الدعوة السلفية أخذت تتسرب إلى الحجاز وبواديها وهذا ما أربك الأشراف الذين أخذوا فيما بعد يقومون بحملات تأديبية ضد البوادي التي أخذت تعتنق مبادىء الدعوة السلفية.

وفي عهد الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الذي تولى الشرافة بعد وفاة أخيه سرور، طلب من الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد أن يرسلا عالمًا سلفيًّا ليطلعه على حقيقة مبادىء الدعوة. فأرسلت الدرعية العالم عبدالعزيز بن عبدالله الحصين مرة ثانية إلى مكة. إلا أن المناظرات والمناقشات هذه لم تصل إلى حد إقناع الأشراف وعلماء مكة بمبادىء الدعوة. والجدير بالذكر أن الشريف غالب كان قد اقتنع في بداية الأمر بمبادىء الدعوة[١٥]. إلا أنه عاد فرفضها ومنع الحجاج السلفيين من دخول مكة خوفًا

---

(١٣) ابن غنام، جـ٢، ص٨٠، ٨١.
(١٤) ابن غنام، جـ٢، ص١١٩، ١٢٠.
(١٥) ابن غنام، جـ٢، ص١٤٤، ١٤٥.

من تسرب مبادىء دعوتهم. وبهذا فإن حدة التوتر بين السلفيين والأشراف أخذت تزداد بخاصة بعد الموقف العدائي الذي اتخذه الشريف غالب تجاه الدعوة والسلفيين.

أرسل الشريف غالب عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م حملة عسكرية ضد الدولة السعودية الأولى. فوصلت الحملة بقيادة الشريف عبدالعزيز إلى منطقة السر وحاصرت حصن قصر ابن بسام. إلا أن هذه الحملة لم تعط النتيجة التي كان يتوقعها الشريف.

ونلاحظ أن الدولة السعودية كانت وقتها مهتمة بالأحساء ومركزة قوتها ضد بني خالد في الشرق. ويذكر لنا صاحب لمع الشهاب أن اتصالاً حدث بين عبدالمحسن بن سرداح في الأحساء وبين الشريف غالب وذلك من أجل توحيد جهودها ضد الدرعية من جهتي الشرق والغرب، مقتنعين بأن هذا التحالف يجعل الدولة السعودية الأولى بين فكي كماشة، من الشرق ومن الغرب ومن الشمال الشرقي، حيث العراق العثماني.

أرسلت الدرعية قوة عسكرية بقيادة الأمير سعود وتحت امرته مجموعة من أمراء المناطق. وأخذت هذه القوات تلاحق القوات الحجازية التي انتقلت من منطقة السر إلى الشعراء. مما جعل الشريف عبدالعزيز يطلب النجدة من أخيه الشريف غالب الذي جاء على رأس جيش حجازي إلى المنطقة ولكن مجيء هذا الجيش لم يعط نتيجة ولم يحسم الموقف، فعادت القوات الحجازية إلى بلادها دون أن تحقق مكسبًا.

ونلاحظ أن الشريف غالب احدث تغييراً في استراتيجيته العسكرية، فأخذ يرسل الحملات العسكرية ضد القبائل التي اعتنقت الدعوة وانضمت بتأييدها السياسي إلى الدرعية. وكانت هذه الاستراتيجية بداية ضعف الشريف غالب لأنه الآن سيصطدم بقوتين: قوة الدرعية وقوة القبائل المتنقلة التي كانت قد أتعبت السلطات السياسية في المنطقة وخارجها.

أغار جيش الشريف على جموع قحطان برئاسة شيخها هادي بن قرملة الذي كان قد انضم للدرعية واعتنق وجماعته الدعوة السلفية. وقد أحرزت قوات الشريف بعض انتصارات على القبائل عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م عند ماء «ماسل» إلى الجنوب الشرقي من الدوادمي.

وقـد جعل هذا الانتصار الشريف يرسل حملات أخرى ضد هادي وقبيلته في مكان ماء «الجمانية» التي تقع في عالية نجد. وكا هذا الجيش بقيادة الشريف ناصر بن يحيى. وكان الشريف في موقفه هذا يستغل انشغال حكومة الدرعية في تثبيت مركزها ونشر دعوتها في المناطق الشرقية.

ومـع هذا فإن الإمـام عبدالعزيز أرسل تعزيزات لمساندة قحطان ضد هجوم الأشراف عليها. فأمر ربيع بن زيد أمير الدواسر بأن يسير بغزوه لمساندة هادي وقبيلته. وقد حققت القوات السلفية نصرًا كبيرًا على قوات الشريف عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م[١٦].

لقد استغل الشريف غالب فرصة انشغال الدولة في الشمال فجرد حملة عسكرية قوية ضد القبائل التي اعتنقت الدعوة وأيدت الدولة السعودية في مناطق رنية وبيشة وتـربـة وغيرها. وقد حقق جش الشريف في بداية الأمر انتصارًا على القبائل المؤيدة للدعوة فأرسلت الدولة جيشًا قويًا تقابل مع جيش الشريف وانتصر عليه انتصارًا حاسمًا عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م. وغنم الجيش السعودي غنـائم كثيرة بعد أن ترك جيش الشريف معظم عتاده ومؤنه وخيامه عند خرمه. وعلى أثر هذه الوقعة طلب الشريف غالب الصلح من حكومة الدرعية التي وافقت على هذا الطلب وظل هذا الصلح ساري المفعول حتى عام ١٢١٧هـ/١٨١٢م.

وعلينـا أن نلاحظ هنـا أن الكثير من القبائل القاطنة جنوب الحجاز اعتنقت الدعوة السلفية وأصبحت سندًا قويًا مؤيدًا للدرعيّة. كما أن الإمام عبدالعزيز كان قد أرسل مجموعة من علماء الدعوة إلى مناطق عسير وتهامة واليمن لشرح مبادىء الدعوة بين السكان في هذه المناطق. وقد لقيت الدعوة تأييدًا كبيرًا في هذه المناطق، فكان هذا عاملًا قويًا من عوامل ضعف الشريف غالب عندما أصبح محاطًا بالسلفيين من كل الجهات، حتى في الداخل حيث أخذت تنتشر مبادىء الدعوة بين السكان في الحجاز. وبهذا إنتقل الشريف غالب من موقفه الهجومي كما رأينا سابقًا إلى موقف دفاعي ثم استسلامي كما سنرى بعد ذلك.

(١٦) ابن بشر، جـ١، ص٩٧.

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تساعد الشريف غالب حتى الآن لأنها لم تكن راضية عنه، ولأنها كانت مشغولة في تصريف مشكلاتها الداخلية والخارجية حيث قيام عهد التنظيمات الإصلاحية فيها.

يقول أحمد زيني دحلان المؤرخ الحجازي المعاصر في كتابة «خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام»، ص٢٦٦ ما يلي:

«أرسل مولانا الشريف (غالب) للدولة العليّة يخبرهم بظهور أمر الوهابية (السلفية) وارسل لذلك السيد محسناً بن عبدالله الحمود والسيد حسيناً مفتي المالكية فلم تكترث الدولة لهذا ولم تلتفت إليه».

ونلاحظ كذلك أن الدولة السعودية كانت أثناء انشغالها في الشرق والشمال تأمر أمراءها في نجد للقيام بحملات تأديبية ضد القبائل المؤيدة للشريف غالب. وهذا ما حدث في الأعوام الواقعة ما بين ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م حتى ١٢١٣هـ/١٧٩٨م. ومن الأمثلة على ذلك ما قام به عبدالله بن محمد بن معيقل، ومحمد بن معيقل أمراء شقراء من غزو لقبائل عتيبة وذلك كرد فعل لما قام به الشريف فهيد من غزو ضد قحطان. وما قام به أمراء الدواسر، كربيع بن زيد الدوسري رئيس قبائل وادي الدواسر ومحمد بن ربيعان رئيس قبائل عتيبة وهادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان وغيرهم![١٧].

ونلاحظ كذلك أن انتصار الجيش السلفي في تربة على جيش الشريف غالب كان بداية الطريق لدخول الطائف لأن تربة مفتاح الطائف والطائف مفتاح مكة.

لقد انتفض وزير الشريف غالب عليه وكان هذا الوزير يدعى «عثمان بن عبدالرحمن المضايفي» وأعلن هذا انضمامه إلى الدرعية. وكان لهذا الانضمام أثر كبير لأن الكثير من مؤيدي المضايفي قد انسلخوا عن الشريف غالب. كما أن الدولة السعودية أمرت المضايفي على الجيش الموجه لحرب الأشراف في الطائف. والجدير بالذكر أن المضايفي هو صهر للشريف غالب بن مساعد الذي أخذ يتهمه بممالأة

(١٧) حسين خزعل، ص ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

الدرعية. وقد حاصر المضايفي مدينة الطائف التي استسلمت بعد انسحاب الشريف غالب إلى مكة وبعد أن كانت القوات السعودية القادمة من الدرعية قد وصلت لمعاونة المضايفي عام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م وعينت الدرعية المضايفي أميراً على الطائف والمناطق التابعة لها[١٨].

وبعد ذلك اتجهت قوات الدرعية بقيادة الأمير سعود الذي جمع الغزو السعودي وتوجه به نحو الحجاز. وعند وصوله الطائف انضم إليه المضايفي وزحفت الجيوش السلفية الكثيفة نحو مكة وكان ذلك في موسم الحج. وقد انتظر الأمير سعود حتى انقضى هذا الموسم وانصرف الحجاج إلى ديارهم. ولما شعر الشريف غالب بعدم قدرته على مقابلة هذا الجيش ترك مكة وتوجه إلى جدة وترك الأمر في مكة لأخيه الشريف عبدالمعين بن مساعد الذي أعلن طاعته واستعداده لتسليم مكة على أن يبقى في شرافتها. فقبل الأمير سعود الذي كان يعسكر في وادي السيل بين مكة والطائف. وهكذا دخل السلفيّون مكة. وقرىء على منبر الحرم الشريف كتاب الأمان العام لأهل مكة. وإليكم نص الكتاب المعطى من الأمير سعود إلى وفد الشريف عبدالمعين:

من سعود بن عبدالعزيز:
إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغاوات وقاضي السلطان
السلام على من اتبع الهدى.. أما بعد:

«فأنتم جيران وسكان حرمه آمنون بأمنه إنما ندعوكم لدين الله ورسوله» قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» من سورة آل عمران آية ٦٤. فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز وأميركم عبدالمعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام».

دخل الأمير سعود مكة يوم السبت في ٨ محرم ١٢١٨هـ/١٨٠٣م. وفي مكة ألقى الأمير سعود خطاباً طويلاً وضح فيه مبادىء الدعوة السلفية، ودعا الناس إلى هدم القباب المقامة على بعض القبور فهدمت. وأمر بتدريس كتاب «كشف الشبهات» في المسجد الحرام في حلقة عامة يحضرها العلماء والأهالي.

(١٨) Brydges, A Breif History, p. 19.
ـ حسين خزعل، ص٣٧٥.

وأرسل الأمير سعود إلى السلطان سليم الثالث بهذا الكتاب :

«إني دخلت مكة ، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب إلا ما كان منها حقاً . وثبّتّ القاضي الذي وليته أنت طبقاً للشرع الإسلامي . فعليك أن تمنع والى دمشق ووالي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فإن ذلك ليس في الدين في شيء»(١٩) .

لقد حاصر الأمير سعود جدة ولم يستطع دخولها لأنها أحيطت بالخنادق وبقوة كبيرة من الشريف غالب . وكانت المدينة محصنة لأنها مركز اقتصادي واستراتيجي مهم بالنسبة للدولة العثمانية في الحجاز ومناطق غربي الجزيرة العربية .

وبعد عودة الأمير سعود إلى الدرعية عاد الشريف غالب فدخل مكة دون معارضة أخيه عبدالمعين . ثم تقدم إلى الطائف وكان فيها المضايفي واتباعه فحاصرها الشريف ، وأثناء ذلك جاء خبر وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ، وتعيين إبنه سعوداً إماماً للدولة السعودية الأولى .

وبعد وصول نبأ استرداد مكة من قبل الشريف غالب إلى الدرعية ، قرر الإمام سعود أن يضع حداً لتصرفات الشريف غالب . فأمر غزوه في مناطق عسير ونواحي تهامة بمهاجمة جدة . وترأس عبدالوهاب أبونقطة هذه القوات . ثم بنت الدرعية حصناً قوياً في وادي فاطمة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ووضعت فيه قوة كبيرة أخذت تهاجم قواعد الشريف غالب في المنطقة . ثم أرسلت الدرعية قوات كثيفة صوب مكة فحاصرتها وسدت على الشريف جميع الطرق لإضعافه عسكرياً واقتصادياً ، فأدرك الشريف غالب أن الأمر ليس بجانبه فاضطر إلى طلب الصلح على شرط أن يبقى أميراً على مكة تابعاً للدرعية . وبهذا عادت مكة تتبع حكومة الدرعية ثم تقدمت القوات السلفية فدخلت المدينة المنورة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م .

---

(١٩) حسين خزعل ، ص ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

ولطلب المزيد من التفصيل عن علاقة الدولة السعودية بأشراف الحجاز إرجع إلى :

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، موضوع آل سعود والحجاز ، معهد الدراسات والبحوث بالقاهرة .

ونلاحظ هنا أن دخول الدولة السعودية مكة والطائف والمدينة وتبعية جدة لها، أدى بالدولة العثمانية إلى أن تتخذ موقفاً شديداً تجاه هذه المسألة. ومن هنا كانت بداية احتكاك الدولة العثمانية بالدولة السعودية عن طريق ولاتها في الشام، وعندما عرفت الدولة العثمانية أن ولاة الشام لا يستطيعون عمل أي شيء مجدٍ لها، قررت الاتصال بواليها محمد علي باشا في مصر.

وهكذا انتشرت الدعوة في الحجاز، ونادت بمبادئها جميع حجيج الشام ومصر والعراق بأن يأتوا للحج بدون محمل أو طبول أو زمور.

ويمكن القول إن الدولة العثمانية ظلت تواجه الدولة السعودية الأولى مواجهة غير جادة ولم تصل إلى مستوى الدرجة القصوى، بل ظلت تركز على حصر الدولة السعودية في إقليم نجد. إلا أن هذا الموقف تغير تماماً بعد وصول القوات السعودية إقليم الحجاز. فغدت الدولة العثمانية تواجه خطراً اعتبرته الآن تحدٍ ديني وسياسي لوجودها. فقد فقدت تبعية المناطق التي دخلتها الدولة السعودية من جهة وخسرت لقبها «خادم الحرمين الشريفين»، وبذلك خسر سلطانها مركزاً روحياً كان يتمتع به في جميع أنحاء العالم الإسلامي من جهة ثانية. وتأسياً على هذا الموقف فإن رد الفعل العثماني في هذه المرحلة اتصف بالرد العنيف ويختلف في مرحلته هذه عن مراحل النزاع العثماني السعودي السابق. ويمكن القول إن دخول السعوديين منطقة الحجاز كانت بداية النهاية للدولة السعودية الأولى.

موقف ولاة الشام

تشير المصادر النجدية أن الإمام عبدالعزيز بن محمد أرسل بعضاً من قواته سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م إلى دومة الجندل. ونازلت هذه القوات أهل هذه المنطقة. يقول ابن بشر في هذا الصدد ما يلي[٢٠]:

«أمر عبدالعزيز على أهل الوشم والقصيم وجبل شمر ينفرون غزاة مع أمرائهم

(٢٠) ابن بشر، جـ١، ص١٠١، ١٠٢.

فسار أهل الوشم مع محمد بن معيقل، وأهل القصيم مع محمد بن عبدالله آل حسن، وأهل الجبل مع أميرهم محمد بن علي، وأمرهم أن يسيروا إلى دومة الجندل المعروف بجوف آل عمرو في الشمال، فسار الجميع وأميرهم محمد بن معيقل، ونازلوا أهل تلك الناحية وأخذوا منها ثلاث بلدان، ثم حاصروا الباقين وقتلوا منهم عدة قتلى، فلم يزالوا محاصرين حتى بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. . . ».

ومن هنا نلاحظ أنه ولأول مرة تصل القوات السلفيّة أرض بلاد الشام في ظل ولاة الشام وتنشر دعوتها هناك، وقد اعتنقها عدد من سكان المنطقة، فكانوا بذلك ركيزة من الركائز التي ترتكز عليها الدولة السعودية في مناطق بلاد الشام، بخاصة وأن القوات السعودية كانت قد مارست عملية نشر مبادىء دعوتها وأدخلتها إلى حيز التطبيق أثناء وجودها في المنطقة.

وفي عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم على رأس جيش من أهل القصيم إلى بلاد الشام فأغارت القوات السعودية على بوادي الشرارات وقتلت عدداً منهم وصل في حدود مائة وعشرين رجلاً. وغنمت من الإبل نحو خمسة آلاف، بالإضافة إلى الأغنام والأموال والمتاع. يقول عثمان ابن بشر ما يلي[٢١].

«وفيها غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم بجيش من أهل القصيم وقصدوا أرض الشام وأغاروا على بوادي الشرارات فانهزموا فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً وأخذوا من الإبل نحو خمسة آلاف بعير وأغنامًا كثيرة وأكثر حللهم وأمتعتهم وأزوادهم وعزلت الأخماس وأخذها عمال عبدالعزيز، وقسم ما فيها على ذلك الجيش غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان».

ونلاحظ من الأحداث السلفة الذكر أن القوات التي كانت توجهها الدولة السعودية إلى بلاد الشام كانت من مناطق شمالي نجد وذلك لقربها من بلاد الشام

(٢١) ابن بشر، جـ١، ص١١١.

ومعرفتها بالمناطق الشاميّة الملاصقة والبوادي الشامية المجاورة.

ونلاحظ من هذه الحملات أنها استطاعت أن تنشر مبادىء الدعوة السلفية في المنطقة وتأخذ الزكاة من سكانها، ووصلت زكاة أهل بادية الشام عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ست نجائب محملة بالريالات. يقول ابن بشر ما يلي(٢٢): «وأخبرني أنه ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم أهل ست نجائب محملات ريال زكوات بوادي أهل الشام، فإذا جنهم الليل وأرادوا النوم نبذوا أرحلهم ودارهمهم يمينًا وشمالا إلا ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسهم». ويترتب على عملية دفع الزكاة هذه مفهوم التبعية السياسية للإمـام السعـودي في الدرعية. وهذا يبين أن الكثير من سكان بادية الشام كانوا لا يدينون بولائهم وتبعيتهم السياسية لولاة الشام. وممّا يركز مفهوم التبعية السياسية لهؤلاء اعتناقهم مبادىء الدعوة السلفية.

عنـدما امتدت الدولة السعودية بدعوتها إلى بلاد الحجاز، أصبحت في وضع جعلها على احتكاك مباشر بالسلطة العثمانية. وكانت بداية هذا الاحتكاك عندما طلب الإمام سعود بن عبدالعزيز من أمير الحج الشامي عبدالله باشا العظم أن لا يأتي الحج بالمحمل والطبول والزمور.. الخ. وكادت تقع مصادمات بين الجند السلفي وبين جند عبدالله باشا العظم الذي لم يكن في موقف عسكري يسمح له بمقابلة السلفيين. وعلى أثر ذلك عزل السلطان عبدالله باشا العظم من منصبه واعتبره تقاعس عن مواجهة القوات السلفية وعين بدلاً منه يوسف كنج. وأصدر السلطان أوامره المشددة ليوسف كنج بإرسال الحملات العسكرية ضد السلفيين، إلا أن يوسف هذا لم يقم بأي عمل إيجابي فاعل، بل كان دائما يشغل حكومة السلطان بالتقارير الخاصة بإعداد الخطط والدراسات اللازمة لتسيير هذه الحملات. كما أن كنج كان قد اقترح أن تشترك معه ولاية مصر في إعداد الحملات للقيام بالمهمة الموكلة إليه.

وفي فترة المكاتبات بين السلطان ويوسف كنج قام الإمام سعود الكبير بحملات عسكرية ضد بوادي الشام. فوصلت الحملات السلفية إلى ما وراء جبل الشيخ وهكذا وصلت طلائع السلفيين سهل حوارن.

(٢٢) ابن بشر، جـ١، ص١٢٨.

وكاتب الإمام سعود الكبير ولاة الشام ودعا سكانها إلى اعتناق مبادىء الدعوة السلفية فكان لهذا الأمر صداه الواسع في الدولة العثمانية. فأصدر السلطان محمود الثاني أوامره بعزل يوسف كنج ومصادرة أمواله واعتبره خارجًا عن أوامره، وأنه ظل يموه السلطان طيلة هذه الفترة، وأن ليس باسطاعته عمل أي شيء ضد السلفيين. وبعد هذا العزل عين السلطان العثماني سليمان باشا واليًا على إيالة الشام. وطلب السلطان من هذا الوالي الجديد أن يراسل والي مصر محمد علي باشا وذلك لتنسيق جهودهما ضد الدرعية. إلا أن سليمان ومحمد علي باشا لم يكونا على وفاق، لذا اتجهت الدولة بأنظارها إلى والي مصر الذي يمكنه تحقيق هدفها[٢٣].

موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى عن طريق واليها محمد علي

بعد فشل ولاية العراق في مقاومة السلفيين والقضاء على دولتهم، وبعد أن جربت الدولة موقف أشراف الحجاز وعملهم المضاد ضد الدولة السعودية، حيث لم يعط النتائج المطلوبة، وبعد أن جربت رد الفعل الشامي تجاه السلفيين. بعد هذه المحاولات جميعها، قررت الدولة العثمانية أن تكلف واليها في مصر للقيام بمهمة القضاء على الدولة السعودية. والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية كانت قد قررت القضاء على الدولة السعودية من خلال جيوش ولاياتها العربية ومن خلال استخدام اقتصاد وطاقات هذه الولايات بخاصة وأن الدولة العثمانية مشغولة في أمورها الداخلية من جهة وأمورها الخارجيّة من جهة ثانية.

وكانت هناك ثمة مجموعة من الدوافع والعوامل التي أدت بالدولة العثمانية إلى تكليف محمد علي للقيام بهذه المهمة الصعبة والخطيرة. فقد نظرت الدولة العثمانية إلى ولاية مصر على أنها ولاية كبيرة وإمكاناتها أكثر من إمكانات الولايات العربية العثمانية الأخرى. هذا وأن مصر لها تجارب سياسية وإدارية وعسكرية واقتصادية مع الجزء الغربي من الجزيرة العربية بخاصة منطقة الحجاز منها. ولم تكن هذه التجارب وليدة

(٢٣) Philby, Saudi Arabia, p. 108.

فترة زمنية محدودة أو حقبة تاريخية محددة، وإنما هي تجارب ممتدة على عدة فترات وأحقاب تاريخية متشابكة ومتعاقبة. وأن في هذا التكليف جس نبض لمحمد علي باشا والي مصر العثماني الجديد. فالتكليف العثماني لمحمد علي ما هو إلا امتحان للأخير فإن اجتازه كان خيراً وإلا ثبت عجزه وبالتالي عدم صلاحيته لتولي قيادة أكبر الولايات العربية العثمانية. ولم يكن مصيرة إذا تمرد ولم ينفذ أوامر السلطان بأحسن من مصيره في حال انكساره وعجزه. وهناك من الآراء القائلة بأن تكليف محمد علي للقيام بهذه المهمة ما هو إلا من أجل إضعافه وإبقائه واليًا مطيعًا للدولة، وهي بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد. فإذا لم تصب كلتا الحسنين فلا تعدم إحداهما: إضعاف محمد علي باشا وإضعاف الدولة السعودية والقضاء عليها، وهذا هو بيت القصيد. كما أن التكليف يحمل مفهوم التورية. فهو أيضًا يحمل مفهوم الثقة التي تضعها الدولة العثمانية في شخص محمد علي عندما تكلفه بهذا العمل الخطير.

إن هذا التكليف كان فيه ما يفيد محمد علي ولو فائدة معنوية أكثر منها ماديًا. فقد عدَّه محمد علي ضرورة ملحة لتدريب جيشه على الحروب خارج مصر بخاصة حروب الصحراء. وفي الجانب الآخر من الفائدة الشخصية لمحمد لمحمد علي فالحرب وسيلة للتخلص من القادة المتعبين لحكمه والأفراد والقوات التي يشعر منها ومن قادتها بأنها خطر يهدد مركزه في مصر. ونظر محمد علي إلى هذا التكليف بأنه فرصة سانحة لتقوية قواته بخصاة الأسطول منها. وهي مفيدة له أيضًا لأنه بدأ يطالب بثمن هذه الحملة من أموال وسلاح وعتاد وخشب من ولاية الشام التي بدأ محمد علي باشا يحلم بمد نفوذه إليها في المستقبل لتتضافر جهود الولايتين في حرب السلفيين. ونظر محمد علي إلى سمعته في نهاية المطاف عندما تحقق قواته نجاحًا كاملًا على الدولة السعودية أو نجاحًا جزئيًا في أخذ الحجاز منها، ففي نظره أن هذا العمل سيكسبه سمعة كبيرة في جميع الولايات العثمانية بخاصة بعد إعادته الحجاز السماح للحجاج في الولايات العثمانية بممارسة الحج وهي تحمل معها محاملها وما يرافق ذلك من أعمال رفضتها الدولة السعودية على اعتبارها بدعة لا يرضى بها الدين الإسلامي.

إن أول تكليف ورد لمحمد علي كان من قبل السلطان مصطفى الرابع عام

١٢٢٢هـ/١٨٠٧م. ونستند في ذلك على ما أوردته الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة[٢٤].

وقد اعتذر محمد علي في بادىء الأمر متعللاً بظروف ولايته الاقتصادية بخاصة في أعقاب ما حل بمصر من انخفاض الفيضان واستيلاء المماليك على جهة الصعيد. وقد تعلل أيضًا بمخاوفه من أطماع الدول الأوروبية في مصر[٢٥].

ألحت الدولة العثمانية على محمد علي حتى خشي أن يكون هناك شرك تنصبه له. ففي هذه الحالة بدأ يقبل التكليف لكنه تعلل بأن قوته العسكرية غير كافية. كما أنه بدأ يثير مشكلة تخوفه من والي الشام سليمان باشا. لذا أخذ يطالب الدولة بعزل هذا اوالي والواقع أن محمد علي كان يتطلع أن تسند إليه ولاية الشام بالإضافة إلى ولاية مصر.

ونلاحظ هنا أن الدولة العثمانية كانت تريد تسيير قوات محمد علي باشا بأي ثمن إلى الجزيرة. وأن محمد علي كان قد استغل هذه المهمة من أجل تثبيت سلطته في داخل ولايته من جهة، ومطالبته بتوسيع نفوذه على حساب ولاية الشام من جهة أخرى. وهذه ملامح تعطينا صورة واضحة عن أطماع محمد علي باشا منذ بداية ظهوره على المسرح السياسي.

ونلاحظ كذلك أن محمد علي أعد الحملة من اقتصاد ولايته وساعده في ذلك سر تجار القاهرة السيد محمد المحروقي. ولم تساهم الدولة العثمانية في الحملة الأولى إلا بعدد قليل من المدافع.

ونلاحظ كذلك أن محمد علي كان يرى في إرسال هذه الحملات شهرة له وسمعة كبيرة سيبني عليها استراتيجيته السياسية في المستقبل.

الحملة الأولى

(حملة أحمد طوسون)

بدأت الحملة الأولى السفر في ١٩ رجب ١٢٢٦هـ/١٨١١م. وكانت على

(٢٤)+(٢٥) د. عبدالحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٤.

دفعتين. وهي تتألف من ٨٠٠٠ جندي. خمسة من المشاة والمدفعية سافروا عن طريق البحر بواسطة السفن. والباقي فريق الفرسان الذين سافروا بطريق البر عبر العقبة إلى ينبع وكان على رأسهم قائد الحملة أحمد طوسون بن محمد علي باشا. وفي ينبع تكون نقطة تجمع القوات البرية والبحرية.

حاول محمد علي وكذلك من قبله السلطان أن يستميلا الشريف غالب بن مساعد عن طريق رسائل كان ينقلها إليه التجار في جدة.

وصلت القوات إلى ينبع التي كانت تدار من قبل جهينة المؤيدة للدرعية والتي اعتنق أفرادها مبادىء الدعوة السلفية. ولم يكلف نزول القوات في ينبع أي صعوبة تذكر. وهنا أخذ طوسون يغدق الأموال على القبائل القاطنة في الموانىء الحجازية لتكون سندًا لقواته وليستطيع تأجير جمالها لنقل المؤن والمعدات في الداخل.

اشتبكت القوات الزاحفة في وادي الصفراء مع القوات السلفية بقيادة عبدالله بن سعود وسعود بن مضيان. وكانت القوات السلفية قد تمركزت في القمم الجبلية على أطراف الوادي. وكانت النتيجة أن انتصرت قوات السلفيين على قوات محمد علي وفر أحمد طوسون إلى ينبع وتشتت شمل القوات التابعة له، وهكذا غنمت القوات السلفية الغنائم الكثيرة من المؤن والعتاد والمدافع.

وبعد هذه الهزيمة كتب محمد علي للسلطان يطلب منه العون العسكري ويطلب منه أن يضم إليه ولاية الشام لأنها قريبة من الحجاز وبإمكانها تسهيل نقل الجنود والمؤن والعتاد بالبر إلى منطقة القتال. إلا أن الباب العالي عقد جلسة حضرها مجلس الشورى. وكان الرد فيه تخوف شديد من أطماع محمد علي. لذا عرف محمد علي صعوبة تحقيق مطلبه «ضم الشام» فأجل الأمر لحينه. ورمى بكل ثقله في القتال.

وصلت إمدادات لطوسون بقيادة أحمد بن نابرت (الخازندار) عام ١٢٢٧هـ/١٨١٢م. وبعد ذلك نقل طوسون مركز قيادته إلى بدر، وهناك نظم قواته وزحف بها إلى وادي الصفراء فتمكن من احتلاله[٢٦].

(٢٦) عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١م، ص ١٢٧.

ثم تقدمت قوات طوسون إلى المدينة المنورة وحاصرتها وأخذت تفتح الثغرات في سورها بواسطة المتفجرات والمدافع. وبعد حصار طويل دخلت هذه الوقات المدينة المنورة. ويذكر المؤرخ ابن بشر أن خيانة الشريف غالب كانت سببًا قويًا من أسباب اضطرار الحامية السعودية إلى الاستسلام(٢٧).

ونلاحظ كذلك أن الشريف غالب سمح لقوات طوسون بدخول جدة وهكذا حصلت قوات طوسون على مرفأ حجازي هام لاستراتيجيتها العسكرية في الحجاز وكان ذلك عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. وهكذا أخذت قوات طوسون تعد العدة للسير نحو مكة المكرمة.

وبمساندة الشريف غالب وتأييده تمكنت قوات حملة طوسون من دخول مكة بعد أن كانت القوات السلفية قد انسحبت إلى بلدة العبيلا(٢٨) قرب الطائف واتخذتها معسكرًا عامًا لها. ثم تقدمت القوات فاحتل العبيلا بعد أن انسحبت منها القوات السلفية إلى الأراضي النجدية في العام نفسه.

ونلاحظ أن القوات السلفية كانت قد خططت لاستراتيجية عسكرية جديدة وهي إخلاء مواقعها تدريجيًا وتركيز قوتها في الأراضي النجدية. ثم استدراج قوات طوسون تدريجيًا إلى نجد حيث المناطق التي تجهلها هذه القوات ولم تعتد الحرب فيها. وتكون بذلك أبعدتها عن مراكز المؤن والعتاد وعن مراكز قيادتها الرئيسية وبهذا يكون من السهل الانقضاض عليها.

اتخذت القوات السلفية خطط هجومية جديدة على القوات الزاحفة صوب نجد فقاد الإمام سعود جيشًا زحف به صوب الحناكية للسيطرة على الطريق الرئيسي بين المدينة والقصيم. ونجح هذا الجيش في أسر قوات طوسون وإرسالها إلى والي العراق تحت حراسة أمير جبل شمر. ثم قام جيش سعود بعدد من الحملات التأديبية ضد البدو الذين أيدوا القوات الزاحفة.

(٢٧) ابن بشر، جـ١، ص١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

(٢٨) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المرجع السابق، ص٢٩٧.

- إرجع إلى ما كتبه عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ٤، ص١٧٢.

ثم سار جيش سعودي آخر بقيادة فيصل بن سعود واتخذ من بلدة تربة مركزًا له.
وتمكن هذا الجيش مع النجدات المساعدة له من إنزال هزيمة ساحقة بقوات طوسون التي كانت بقيادة مصطفى بيك رئيس الفرسان والشريف راجح.

أخبر طوسون والده بأمر هزيمة قواته في تربة. كما أخبره بأنه لا يعلم شيئًا عن قواته في الحناكية لأن القوات السعودية كانت قد سيطرت على الطريق الواصل بين القصيم والمدينة المنورة. وأعلمه كذلك أن القوات السعودية أخذت تخضع القبائل الموالية لقواته. وكانت هذه الصورة عن الوضع العسكري لقوات طوسون تتطلب من محمد علي أن يرسل قوات أخرى إلى المنطقة.

تباحث السلفيون وممثلوا محمد علي من أجل إيجاد صلح بينهما، إلا أن الأمور التي نوقشت بين الطرفين لم يتوصل لحل لها، هذا ما أدى إلى فشل محاولة الصلح.
وقد تطلب كذلك مجيء محمد علي بنفسه إلى الحجاز ليقود المعارك ويشرف على الخطط العسكرية فكان على القوات السلفية أن تتخذ خططًا جديدة للحرب التي دخلت في دورها الثاني، على اعتبار أن حملة طوسون تعدّ المرحلة الأولى من مرحلة الحروب بين السلفيين وقوات محمد علي.

وصول محمد علي إلى جـدة

وصل محمد علي جدة عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. وفيها رسم خطة جديدة للحرب اعتمد فيها على العربان بعد إغرائهم بالأموال والهدايا. وجعل جدة المستودع الرئيسي للعتاد. واهتم بوسائل النقل لنقل العتاد والمؤن إلى الداخل. وكان قد استأجر عشرين سفينة ولمدة سنة كاملة من سلطان مسقط. وخوفًا من عامل المفاجأة أقام مجموعة من الحاميات في النقط الرئيسية والهامة ثم جعل مركز قيادة إبنه طوسون في الطائف. كما أن محمد علي ألقى القبض على الشريف غالب لأنه لا يثق به ولأنه كثير التردد. فصادر أمواله وأرسله إلى القاهرة عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. وقد جعل هذا الحادث الأشراف لا يثقون بمحمد علي، لذا انشق الشريف راجح عن محمد علي وكان هذا الشريف قد

عين على شرافة مكة بعد عزل شريفها السابق الشريف غالب. وكان هذا الموقف قد أحرج محمد علي، هذا إلى جانب فشل طوسون على تربة وانهزام جيشه أمام الجيش السلفي هناك. كما أن قوات محمد علي فشلت في السيطرة على القنفذة في الجنوب بفضل شدة مقاومة القائد السعودي طامي بن شعيب واستيلائه على آبار الماء في المنطقة.

وأثناء هذه الظروف التي هي بجانب السلفيين توفي الإمام سعود الكبير عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م. وكان هذا الإمام يتحلى بشخصية عسكرية وإدارية قوية. وقد خلفه من بعده في إمامة الدولة السعودية الأولى إبنه عبدالله بن سعود.

وأثناء ذلك تمكنت القوات السعودية من إحراز نصر كبير لها في الجنوب في حصن «بخروش علاش» الذي كان تحت قيادة طامي بن شعيب. ولاحقت القوات السعودية قوات محمد علي حتى الطائف. ولولا وصول قوات برئاسة محمد علي بنفسه لمساعدة القوات المحاصرة لكان الموقف يهدد بالقضاء على قوات طوسون فيها. وبهذا فإن قوات محمد علي منيت بهزيمة في وادي زهران وقرب مدينة الطائف.

وعلى أثر هذه المعارك عاد محمد علي وإبنه طوسون إلى مكة عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، ومنها إلى جدة. وهناك أخذا يدربان الجيش تدريبًا قاسيًا لمدة ثلاثة شهور استعدادًا للمعارك القادمة(٢٩).

وفي محرم ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م قامت بين قوات محمد علي الذي شارك في المعركة وبين قوات السلفيين معركة حامية الوطيس في «بسل» الواقعة بين الطائف وتربة تمكنت قوات محمد علي من احتلال هذا الموقع السعودي. وكان قائد القوات السعودية آنذاك فيصل بن سعود. وبعدها زحفت قوات محمد علي واحتلت تربة التي أصبحت فيما بعد معسكرًا عامًّا لقوات محمد علي بدلاً من الطائف وينبع.

وبعدها صدرت الأوامر إلى محمد علي من الباب العالي لأن يوجه حملات عسكرية

(٢٩) عبدالرحمن الجبرتي، المصدر السابق، جـ٤، ص٢١٣، ٢١٧.

ضد قبائل عسير المؤيدة لآل سعود. فسارت قوات محمد علي صوب الجنوب فاحتلت بيشة التي هي مفتاح الطريق لليمن من جهة الشمال الشرقي. كما واستطاعت قوات محمد علي من أن تهزم قوات طامي بن شعيب المؤيدة للدرعية في المنطقة الجنوبية. ثم تقدمت القوات التابعة لمحمد علي فاحتلت بلدة القنفذة. وهكذا نرى أن القسم الجنوبي من الحجاز أصبح خاضعًا بالقوة لمحمد علي. وبعد هذه المعارك عاد محمد علي إلى مصر على أثر تمرد حدث فيها(٣٠).

وفي ميادين الشمال كان طوسون قد وصل بزحفه إلى بلدة الرَّس. وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على عدد من بلدان منطقة القصيم. ولكن نلاحظ أن طوسون أدرك أنه أخطأ في توغله في نجد حيث أنه وقواده لا يعرفون المنطقة ولا يتقنون حروب الصحراء التي تتقنها القوات السلفية وتعرف دروبها وبلدانها ومناطق الماء فيها. بالإضافة إلى التأييد السكاني لها في المنطقة.

لذا فكر طوسون أن يعقد صلحًا مع الإمام عبدالله بن سعود. إلا أن شروط الصلح التي وضعها طوسون كانت ثقيلة. فأرسل الإمام عبدالله وفدًا إلى مصر للتفاوض مع محمد علي مباشرة بدلاً من التفاوض مع إبنه طوسون. وكان الوفد السعودي يضم القاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم وعبدالله بن محمد. ووصل الوفد القاهرة في شوال ١٢٣١هـ/١٨١٥م.

وأثناء المفاوضات أخلى طوسون منطقة القصيم. وأثناء وجوده في المدينة أرسل لأبيه محمد علي يطلب منه العودة إلى مصر لاعتلال صحته. فاستأذن محمد علي الباب العالي في ذلك فوافق. فعاد طوسون إلى القاهرة عام ١٢٣١هـ/١٨١٥م.

---

(٣٠) قيل أن لطيف باشا وهو من رؤساء المماليك في مصر دبر مؤامرة ضد محمد علي للإطاحة بحكمه. ولكن الجبرتي في عجائب الآثار والرافعي في كتاب عصر محمد علي، ينفيان ذلك ويرويان أن محمد لاظ كتخدا محمد علي هو الذي أوغر صدر محمد علي على لطيف باشا للتخلص منه كراهية لجنس المماليك.
أنظر الجبرتي: جـ٤، ص١٨١-١٨٣.
أنظر الرافعي: عصر محمد علي، ص١١٤.

يقول ابن بشر عن طلب الصلح : أرسل الإمام عبدالله عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م «حسن بن مزروع وعبدالله عون إلى محمد علي في مصر بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح»[٣١]. ولم يتوصل الطرفان إلى صلح بينهما. فيقول ابن بشر: «إن حاملي هدايا ومراسلات الإمام السعودي لما قدموا عليه (محمد علي) في مصر وجدوه قد تغير»[٣٢]. وهكذا تبدأ مرحلة أخرى من مراحل القتال بين السلفيين وقوات محمد علي.

حملة إبراهيم باشا

بعد انسحاب طوسون من القصيم قاد الإمام عبدالله عدة حملات عسكرية تأديبية ضد القبائل والجماعات التي ساعدت وأيدت قوات طوسون.

وفي عضون الهدنة بين الطرفين وهي فترة مفاوضات الصلح أخذ كل طرف يعد العدة من أجل حرب الطرف الآخر. وكان كلا الطرفين المتفاوضين موقنين بأن المفاوضات سيكون مصيرها الفشل، وإنما هي فرصة لكسب الوقت وتجميع القوى.

ونلاحظ كذلك أن محمد علي أخذ يعد حملة كبيرة ومنظمة فيها كل متطلبات الجندي من العتاد والمؤن والعلاج وغير ذلك. فأعد مجموعة من الأطباء الإيطاليين للإشراف الصحي على الحملة. ثم زود الحملة بمجموعة من الخبراء العسكريين الأجانب وعلى رأسهم المسيو فيسير الذي كان بمثابة أركان حرب لإبراهيم باشا. وهو ضابط فرنسي خدم في جيش نابليون.

سارت الحملة بعد أن استكملت جميع معداتها ولوازمها صوب ينبع في عام ١٢٣١هـ/١٨١٦م. وفي ينبع بدأت قوات إبراهيم باشا تقوم بمناورات لإرهاب القبائل في المنطقة خوفًا من تمردها أو عصيانها. اتجه إبراهيم باشا بقوات إلى المدينة المنورة وهناك خطط خططه العسكرية متلافيًا ما وقعت به حملة طوسون من أخطاء.

وقد أرسل الإمام عبدالله بن سعود نجدات عسكرية للرّس بقيادة حسن بن

---

(٣١)+(٣٢) ابن بشر، جـ١، ص ص ١٨١ - ١٨٢ وص١٨٤ .

مزروع والهزاني صاحب حريق نعام. ويصف المؤرخ النجدي عثمان بن بشر شدة حصار إبراهيم باشا للرّس وصدق دفاع الأهالي عنها فيقول[٣٣]:

«فأقبل عساكر الترك مع باشتها إبراهيم نزلوا الرس لخمس بقين من شعبان (من عام ١٢٣٢هـ)، فثبتوا له وحاربوه. وأرسل إليهم عبدالله مرابطة مع حسن بن مزروع والهزاني صاحب حريق نعام. فحاصرهم الترك أشد الحصار وتابعوا الحرب عليهم في الليل والنهار. كل يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الروم بعدها يجعل السور بالقبوس فوق الأرض مهدوم. فأنزل الله السكينة على أهل البلاد والمرابطة وقاتلوا قتال من حمى الأهل والعيال. وكلما حفر الترك حفرًا للبارود حفر أهل الرس تجاهه حتى يبطلوه، وبعض الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون. وطال الحصار إلى اثني عشر ذي الحجة. وذكر أن الترك رموه في ليلة خمسة آلاف رمية بالمدافع والقنبر والقبس وأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها».

ويذكر ابن بشر أن أهالي الرس طلبوا من الإمام عبدالله أن يأتي لنصرتهم ومحاربة الترك، وكان الإمام وقتذاك في عنيزة. وأنه إذا لم يأت لمحاربة الترك فليسمح لهم بطلب الصلح من ابراهيم باشا. وجاءت نجدات أخرى لقوات ابراهيم باشا وزاد إبراهيم باشا من شدة حصاره ومضايقته للرس حتى اضطرت البلدة إلى طلب الصلح من شروطه.

١ ـ أن يؤمن إبراهيم باشا أهالي الرس على دمائهم وأموالهم وسلاحهم.
٢ ـ أن تخرج الحامية السعودية من الرس إلى عنيزة بسلاحها وأن يعطي الأمان لجميع أفرادها.

وبالرجوع إلى عبدالرحمن الرافعي في كتابه «عصر محمد علي»[٣٤] نجد أن شروط الصلح التي أوردها هذا الكتاب فيها إضافات على ما أورده عثمان بن بشر. فيذكر الرافعي: أن من بين الشروط الموقعة جاء شرط ينص على وقوف الرس على الحياد. وشرط آخر هو: لا يجوز لجنود إبراهيم باشا وضباطه دخول الرس. وشرط ثالث هو:

(٣٣) ابن بشر، جـ١، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، ص١٨٩.
(٣٤) عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط٣، القاهرة، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، ص ١٤٧.

عدم إجبار أهالي البلدة على تقديم المؤن والمسيرة لجيش إبراهيم ولا يدفعون له أية ضريبة.

وبالرجوع إلى أمين سعيد في كتابه «تاريخ المملكة العربية السعودية» جـ١[٣٥]، نجـد أن شرطًا جديدًا يضيفـه المؤلف إلى الشروط التي وردت في مؤلفي ابن بشر والرافعي، هذا الشرط هو: في حالة استيلاء جيش إبراهيم باشا على عنيزة بدون قتال، فعلى الرس أن تسلم له. وإذا لم ينجح في ذلك فيعتبر القتال متجددًا بين الطرفين.

ونلاحظ من شروط الصلح المتقدمة أنها شروط لم يكن ليقبلها إبراهيم باشا لولا صلابة موقف أهالي الرس والحامية السعودية فيها تجاه الحصار واستماتة هؤلاء في الدفاع عن بلدهم بالرغم من عنف الوسائل التي استخدمها إبراهيم باشا ضد الرس. أضف إلى هذا سوء الحالة التي وصل إليها جيش إبراهيم أثناء حصاره للبلدة والتي دام في حدود ثلاثة شهور ونصف وذلك بسبب إصابة جند إبراهيم بالأمراض ولما حل بهم من ملل شديد نتيجة طول مدة الحصار. حتى أن عدد القتلى من جند إبراهيم وصل في حدود ستمائة رجل في حين أن عدد القتلى من بلدة الرس لم يتجاوز السبعين رجلاً[٣٦].

حاولت القـوات السعودية استدراج قوات إبراهيم باشا إلى داخل نجد كفتح طريق أمام جبهات قتالية واسعة تخوضها قوات إبراهيم باشا ضد القوات السعودية. وفي هذا الأسلوب إضعاف للعدو لأن طول المدة في سير قوات إبراهيم عبر نجد يعرضها إلى الأمراض وسوء الحالة بخاصة وأن الأحوال الجوية متقلبة ولا تشجع على استمرار تقدم القوات إلى جانب المقاومة الشديدة التي تتعرض لها القوات المهاجمة من القوات السعودية وأهالي البلاد التي تتعرض للهجوم عليها. وهناك فرق كبير بين موقف القوات المهاجمة وبين موقف القوات المدافعة.

وقد خططت القيادة السعودية لهذا الأسلوب أو على الأقل قبلت به لأنها وجدت

(٣٥) أمين سعيد، تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٨٠.
(٣٦) ابن بشر، جـ١، ص١٩٠.

نفسها في موقف لا تقدر فيه على مواجهة قوات إبراهيم باشا في معارك حاسمة . ويعود ذلك لعدة عوامل من أهمها : أسلحة القوات المهاجمة وشدة تنظيمها وما قامت به من تدريبات عنيفة من أجل زيادة قدرتها الحربية ، إلى جانب ما كان يقدمه إبراهيم باشا لرؤساء القبائل من أموال وهدايا ورواتب شهرية في سبيل دعم قواته وانضمامها إلى صفوفها في حرب القوات السعودية . هذا إلى جانب الخطط العسكرية التي خططها إبراهيم باشا وقواده لمحاربة القوات السعودية .

تقدم إبراهيم باشا إلى عنيزة وحاصرها بقواته . وكانت فيها حامية سعودية بقيادة الأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود . وقد استسلمت المدينة ما عدا الحامية المقيمة في قصر الصفا داخل المدينة وظلت هذه الحامية تقاوم الحصار والهجوم التي تعرضت له حتى رماهم إبراهيم باشا «بالقبوس والقنابر رميًا هائلاً يومًا وليلة ، وعمل الباشا حافات دون رصاص أهل القصر ، وقرب منهم القبوس والقنابر ، فثلم جدار القصر ووقعت رصاصة من القنبر في القصر وجعلها الله سبحانه على جبخانهم . . فثار الجبخان وهدم ما حوله ومات بسببه رجل أو رجلان . فلما رأى أهل القصر أن البلد أطاعت له وأن سور القصر هدم عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم . فخرجوا من القصر ودخله الترك ورحل المرابطة إلى أوطانهم»[٣٧] .

زحفت القوات التابعة لإبراهيم صوب شقراء بعد أن دخلت بلدة بريدة وفي القتال الدائر بين قوات إبراهيم والقوات السلفية في شقراء اضطرت البلدة إلى الاستسلام بعد عنف العمليات العسكرية وشدة القتال الذي دام ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة . وتهدم فيه سور البلدة وبيوتها وضج الناس من شدة قساوة وعنف قوات إبراهيم باشا التي كانت مجهزة بالمدافع والعتاد والمؤن . وأخيراً دخل إبراهيم المدينة على شروط هي :

١ ـ أن تسلم حاميتها ما لديها من مدافع في قلعة المدينة وكافة أسلحتها .

٢ ـ على الأهالي بيع المؤن والميرة لجنود إبراهيم .

(٣٧) ابن بشر ، جـ١ ، ص١٩٠ .

٣ـ يُسمح للسكان بالذهاب أنى شاءوا شريطة عدم حملهم السلاح ضد قوات إبراهيم.

ونلاحظ أن سقوط شقراء كان الطريق لسقوط إقليم الوشم. وكانت البداية لسير قوات إبراهيم صوب منطقة العارض. وقد لاقت قوات إبراهيم مقاومة شديدة من بلدة ضرماء التي كانت تحت قيادة سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود. واستسلمت المدينة بعد أن انسحبت منها الحامية السعودية متوجهة إلى الدرعية للدفاع عن العاصمة. ويصف لنا ابن بشر شدة معاملة جيش إبراهيم للسكان حين يقول إن الروم «يعني جيش إبراهيم» يأتون أهل البيت أو العصابة المجتمعة فيقولون الأمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم[٣٨].

معارك الدرعية

كانت الدرعية بلدًا محصنًا وقلاعها قوية، لذا فإن مقاومتها ستكون قوية وشديدة ضد جيش إبراهيم. كانت الدرعية تتألف من خمسة أقسام لكل منها أبواب وأسوار تتخللها الحصون والأبراج. وكان محيط المدينة حوالي اثني عشر كم.

تقدمت قوات إبراهيم صوب الدرعية وكان الضابط الفرنسي فيسير يساعد إبراهيم باشا في إعداد خطط الهجوم. وأخذت قوات إبراهيم تحفر الخنادق وتقيم المتاريس عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م.

أما قوات الدرعية فقد نظمت نفسها في عدة جبهات، إلا أن مدافعها كانت قليلة وعتادها كان أقل من عتاد قوات إبراهيم. ركز إبراهيم بمدفعيته على المدينة ولمدة عشرة أيام متتالية ولكن دون جدوى. وظل مدة شهرين وهو على حاله دون إحراز أي تقدم ملموس، وزاد الأمر سوءًا بالنسبة لقوات إبراهيم ومركزها عندما اشتعلت النيران بمستودع ذخيرته. حاول السلفيون الاستفادة من هذا الموقف ولكن دون جدوى، بخاصة بعد أن وصلت إمدادات جديدة لقوات إبراهيم[٣٩].

(٣٨) ابن بشر، جـ١، ص١٩٣.
(٣٩) ابن بشر، جـ١، ص٢٠٤، ٢٠٥.

وظل الوضع كذلك ولمدة خمسة أشهر والدرعية محاصرة والحرب سجال بين قواتها وبين قوات إبراهيم وظل السلفيون يدافعون عن عاصمتهم بشجاعة، إلا أن طول الحصار أدى إلى قلة المؤن فيها، كما أن غصاب العتيبي كان قد خرج عن الجماعة وانضم إلى إبراهيم باشا، مما أدى إلى إضعاف جبهة الدرعية. يقول إبن بشر: «لما خرج منها (غصاب) قوي عزم الباشا على الحرب وقرب القوس (المدافع) من البلد وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروجه[٤٠]» ويقول كذلك: «إنه لما خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا وأخبروه بعوراتهم وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شدة في الحرب وبالموضع الذي يتفرقون عنه في الليل وبالموضع الذي ليس به إلا قليل وبالموضع الذي يدخل منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون[٤١]».

وهكذا نلاحظ أن الجبهة الداخلية للسلفيين قد ضعفت وزاد هذا الضعف إزدياد الأزمة الاقتصادية نتيجة لاستمرار القتال والحصار للمدينة. وبعدها شن إبراهيم هجومًا مركزا على عدة مواضع من المدينة كانت النتيجة أن استسلم الإمام عبدالله بن سعود. يقول ابن بشر: «تفرق عن عبدالله أكثر من كان عنده، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا. فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان والأموال. فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه»[٤٢].

استقبل إبراهيم الإمام عبدالله بالحفاوة وتم الإتفاق بينهما على الشروط التالية[٤٣]:

* تسليم الدرعية.
* يتعهد إبراهيم بأن يبقي على المدينة وأن لا يوقع بأحد من سكانها.
* يسافر الإمام عبدالله إلى مصر ومنها إلى الآستانة عملاً برغبة السلطان التركي.

---

(٤٠) ابن بشر، جـ١، ص٢٠٦.
(٤١) ابن بشر، جـ١، ص٢٠٦.
(٤٢) ابن بشر، جـ١، ص٢٠٩.
(٤٣) ابن بشر، جـ١، ص٢١٠ وكذلك: أمين سعيد، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ١، ص١٠٠.

ولم يكتف محمد علي بهذا بل رفض الشرط الثاني وأمر إبنه إبراهيم بتهديم الدرعية وحصونها وأسوارها وتخريب منازلها، وقد نفذ إبراهيم باشا هذه الأوامر.

أما عن الإمام عبدالله فوصل مصر واستقبله محمد علي بشبرا بالترحيب. وسأل محمد علي الإمام ما هذه المطاولة. فرد الإمام «الحرب سجال» فقال الباشا «وكيف رأيت إبراهيم». فرد الإمام «ماقصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره المولى» فقال محمد علي «أنا إن شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان». فقال الإمام «المقدر يكون» فألبسه محمد علي خلعه.

وترتب على سقوط الدرعية عدة نتائج :

* انتهى عهد الدولة السعودية الأولى ولفترة مؤقتة، وظلت مبادىء الدعوة السلفية باقية في نفوس أتباعها.
* عمت الفوضى السياسية في البلاد وازداد معها ضعف اقتصادياتها.
* ازداد نفوذ محمد علي وازداد ضغطه على السلطان العثماني :
* أخذت بريطانيا تركز دعائم نفوذها الاستعماري في سواحل الخليج العربي.
* ظهرت مقاومة سعودية جديدة ضد الحكم التركي الممثل بسلطة محمد علي باشا.

وكانت هذه المقاومة وما رافقها من تأييد وطني سببًا في ظهور الدولة السعودية الثانية. «ومع أن الدولة السعودية الأولى كانت قد انهارت من حيث الوجهة والمفهوم السياسيين، إلا أنها تركت في البلاد مقومات قيام الدولة السعودية الثانية، إذ ظلت أفكار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ماثلة في أذهان الناس، وظل المجتمع النجدي يكن ولاءًا للأسرة السعودية التي تبنت الدفاع ضد الحكم التركي ومحمد علي، وعلى رأس هؤلاء المؤيدين جماعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذوي الرأي النافذ لما لهم من منـزلة دينية محترمة بين أفراد المجتمع النجدي، وزاد من تقرب الناس لآل سعود ما وصلت إليه البلاد من أوضاع سيئة، وما لمسوه من سوء المعاملة على يد الجند عندما

دخلوا بلدة الدرعية ودكوا أبنيتها، وأسروا حوالي أربعمائة فرد من آل سعود وآل الشيخ[٤٤]».

* تأصل في البلاد النجدية مبدأ كره الحكم الأجنبي وما يلحق بذلك من أمور تلتصق به، وكان ذلك وليد النتائج التي ترتبت على النزاع السلفي العثماني عن طريق الولايات العثمانية العربية بخاصة تلك الحملات العسكرية المتلاحقة ضد الدولة السعودية من قبل محمد علي باشا.

* ظهور شعور وطني محلي في البلاد النجدية، وقد تأصل هذا الشعور وازدادت حدته بعد الويلات التي لاقاها سكان المنطقة من قبل القوات العثمانية التي زحفت لحرب السلفيين في فترات تاريخية متعاقبة.

(٤٤) د. عبدالفتاح حسن أبوعلية، الدولة السعودية الثانية، ط٥، دار المريخ للنشر، ١٩٨٥م، ص٣١.

ـ لمعرفة ما حل بالدرعية أنظر: عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، مجلد٤، ص٣١٨، وكذلك: ابن بشر، جـ١، في حوادث سنة ١٢٣٣هـ.

الفصل الرابع

امتداد نفوذ الدولة السعوديّة الأولى
في الخليج

- العوامل التي دفعت الدولة السعوديّة الأولى إلى الإمتداد في مناطق الخليج العربي
- الدولة السعوديّة الأولى وقطر
- الدولة والبحرين
- الدولة والكويت
- الدولة وعُمان
- الدولة وساحل عُمان
- وصول الدعوة والدولة إلى جعلان
- أمراء الدولة السعوديّة الأولى في البريمي
- القصور السعوديّة في البريمي والمناطق العُمانية

الفصل الرابع

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في الخليج

العوامل التي دفعت الدولة
إلى الامتداد في مناطق الخليج

كانت هناك ثمة عوامل مهمة دفعت الدولة السعودية الأولى إلى الامتداد باتجاه مناطق الخليج العربي. ويأتي الدافع الديني في المقام الأول منها، إذ كان من المهام الأولى للدولة نشر مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في داخل الجزيرة العربية وخارجها. وما هذه الدعوة إلا جهد إصلاحي مهمته الأساسية تطهير الدين الإسلامي مما علق به من شوائب: كالبدع والخرافات والضلالات المتنوعة على مدى حقبة طويلة من الزمن.

إلى جانب هذا أخذت تظهر أحداث ذات طابع سياسي ساعدت على شد انتباه الدولة السعودية الأولى إلى منطقة الخليج العربي. ويأتي حادث توتر العلاقات بين بني خالد في المنطقة الشرقية وبين الدولة ثم توتر العلاقات بين العراق العثماني وبين الدولة السعودية الأولى في مقدمة عوامل الجذب، وبالتالي فهي من بين العوامل التي جعلت الدولة السعودية الأولى تركز اهتمامها على المنطقة المذكورة.

وهناك عامل اقتصادي لا يقل بحال من الأحوال عن العامل السياسي، فالمنطقة الشرقية منفذ بحري ممتاز للدولة السعودية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن حدود الدولة السعودية الأولى مازالت منحصرة في نطاق نجد. وأن كل القوى السياسية المحيطة بها قوى سياسية معادية لها. فالمنطقة الشرقية منطقة غنية بالزراعة بخاصة زراعة النخيل، والتمور تشكل القوت الأساسي للسكان في الجزيرة العربية وقتذاك. وتأسيساً على هذا

فتصبح المنطقة الشرقية مورداً اقتصادياً كبيراً للدولة إذا أضفنا إلى هذا المورد الاقتصادي الناجم عن التجارة والطرق التجارية وصيد الأسماك للحصول على اللؤلؤ الخليجي. إضافة إلى هذا كله ما تأخذه الدولة من زكاة من سكان المنطقة.

وهناك عامل آخر وهو أن الدولة السعودية الأولى كانت ترى الوصول إلى المنطقة الشرقية والخليج ضرورة ملحة لأمنها، عندما أصبحت المنطقة مكاناً تتجمع فيه القوى الفارة من الدولة، وأخذت هذه القوى بتحريض من بنى خالد تعمل على مناوئة الدولة. وكانت الدولة تفكر جدياً في تأديب هذه الجماعة ومطاردتها(١).

لقد أنهت الدولة السعودية الأولى حكم بني خالد في الأحساء في عهد الإمام السعودي عبدالعزيز بن محمد عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، بعد أن عبأت الدولة السعودية جيشاً ضخماً من جيش الجهاد بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز (سعود الكبير فيما بعد). وقد طبق الأمير سعود مبادىء الدعوة في المنطقة، فأقام الحد والقصاص على من استحقهما. وأما القطيف فسار إليها ابن عفيصان وتمكن من الاستيلاء عليها وعلى قراها، وبعد ذلك عين الإمام عبدالعزيز بن محمد ابراهيم بن عفيصان أميراً على الأحساء والقطيف: «قم يا ابراهيم سر على بركات الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها، وأمير القطيف من توابعك، وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقوياً لأحوال المسلمين واستمد من أخوانك المسلمين ما شئت من العسكر فأنت عيناً في ذلك القطر»(٢).

وبعد أن دخلت القوات السعودية الأحساء والقطيف أصبحت الدولة السعودية الأولى دولة محلية تشرف على الخليج. وبدأت هذه الدولة تتطلع تدريجياً إلى نشر مبادىء دعوتها في المناطق الخليجية وتثبيت جذور نفوذها في الخليج العربي الذي يموج بحركة تجارية واسعة. فكانت الأحساء هي المنطلق لامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في مناطق عديدة من مناطق الخليج العربي. وأصبحت الدولة السعودية بعد دخولها

---

(١) مؤرخ مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب. تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة، طبع ببيروت في مايو ١٩٦٧م. ص٦٢.

(٢) مؤرخ مجهول: المصدر السابق، ص ص ٧٥ ـ ٧٦.

الأحساء قوة وطنية محلية تتصارع مع القوى السياسية الأخرى في المنطقة . وكانت أول أنظار الدولة قد اتجهت نحو قطر بايعاز من إبراهيم بن عفيصان .

الدولة السعودية الأولى وقطر

كانت قطر مسكونة من قبل : آل أبي حسن وهم يسكنون في اليوسفية وقراها المحيطة بها. والمعاضيد ويسكنون في الرويضة والطبيخ . وآل مسلم ويسكنون فريحة والقويرط والقرى المحيطة بها. ثم سكنها آل خليفة في الزبارة(٣) بعد أن انفصلوا عن التحالف الذي كان قائماً بينهم وبين آل صباح والجلاهمة عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م .

وكان إبراهيم بن عفيصابن هو القائد السعودي الأول الذي غزا قطر في أواخر عام ١٢٠٧هـ ومطلع العام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م. واستطاعت القوات السعودية من الاستيلاء على معظم بلدان قطر: كاليوسفية وفريحة والرويضة والحويلة(٤). وبعد ذلك حاصر إبراهيم بن عفيصان العتوب (آل خليفة وجماعتهم) في الزبارة بعد أن جاءته الموافقة من الإمام عبدالعزيز بن محمد. وشدد ابراهيم بن عفيصان في حصار العتوب حتى أجبرهم على الرحيل من الزبارة متجهين إلى البحرين بواسطة البحر، مقتنعين بأن رحيلهم هذا ماهو إلا رحيل مؤقت يدوم لفترة قصيرة وهي فترة بقاء القوات السعودية في قطر ظناً منهم أن الحكم السعودي في قطر لم يتعد عن كونه حملة عابرة(٥) بعدها تنسحب القوات السعودية، وعندها يعود العتوب إليها ثانية. وهكذا دخلت الدولة السعودية قطر. وأخذت تنشر مبادىء دعوة الشيخ هناك. كما أن رقعة الدولة قد اتسعت، وصار لها ساحلاً كبيراً مطلاً على الخليج العربي. ولم يكلف الدولة السعودية دخول قطر الشيء الكثير، ويعلّل ذلك بالتوافق في المذهب - إلى حد ما، حيث أن المذهب الحنبلي هو المذهب السائد في قطر. ونلاحظ أن تصور العتوب بأن دخول السلفيين لقطر ماهو إلا

(٣) محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي، ط١، ص١٢٢ .
(٤) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال ناصر الدين الأسد، ص١٨٠. القاهرة: ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
(٥) مؤرخ مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب. تحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمة، ص٧٨، بيروت ١٩٦٧م.

مجرد حملة عسكرية هو تصور خاطىء لأن الدولة السعودية كانت عندما تدخل بلداً تطبق فيه مبادىء دعوتها وتضمه إلى بوتقة الدولة وتأخذ منه الزكاة السنوية.

الدولة والبحـرين

إن البحرين جزيرة ذات أهمية فريدة بالنسبة للاستراتيجية الدولية، إضافة إلى أهميتها هذه، فهي كذلك تمتاز بأرضها الزراعية من جهة وشهرتها كأحد مراكز الغوص في الخليج من جهة أخرى، حتى أن لؤلؤها اكتسب شهرة عالمية. وكانت البحرين تحت سيادة آل خليفة عندما كانوا في الزبارة في قطر. وكان آل خليفة يديرون شؤون الجزيرة من مركز ثقلهم في الزبارة في قطر قبل رحيلهم منها إلى البحرين على إثر دخولها من قبل ابراهيم بن عفيصان. وقد سكن سليمان آل خليفة وأسرته في قرية جوا في البحرين عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م. ولم تدم إقـامتهم في جوا لأن البحـرين خضعت لحكم السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م وبعدها عاد آل خليفة إلى الزبارة بعد أن أعطاهم آل سعود الأمان[٦].

وقـد نجح آل خليفـة في كسب عون الإمام السعودي، سعود الكبير لهم في استرجـاع البحـرين من حاكم مسقط، بعد أن أرسل لهم جيشاً بقيادة ابراهيم بن عفيصـان[٧]. وقد نجحت القوات السعودية في الإستيلاء على البحرين وطرد قوات حاكم مسقط منها. إلا أن ابراهيم بن عفيصان لم يسلم الحكم في البحرين لآل خليفة بل أعلن ضمهـا إلى الدولـة السعودية الأولى. وقد حاول آل خليفة إجلاء القوات السعودية عن البحرين إلا أن القوات السعودية ردت القوات المهاجمة وأرسل رؤساء آل خليفة إلى الدرعية. وعين الأمير فهد بن سليمان بن عفيصان قائداً للحامية السعودية في البحرين، وعين الأمير إبراهيم بن عفيصان أميراً عليها.

ولم يدم هذا الوضع لأن آل خليفة استعانوا بحاكم مسقط ودولة الفرس وأقاربهم من عتـوب وهاجموا الحامية السعودية في البحرين وطردوا الأمير إبراهيم بن عفيصان

(٦) لمع الشهاب، ص ٧٨.

(٧) انظر: Bombay Government, Selection of Treaties, Vol. XXV, p. 141.

وحاميته، وأسروا فهد بن سليمان بن عفيصان ومعه ستة عشر رجلاً من السعوديين واتخذوهم كرهينة عندهم حتى تطلق الدرعية سراح آل خليفة فيها(٨).

وقد حاول ابراهيم بن عفيصان بمساعدة رحمة بن جابر الجلاهمة(٩) استرداد البحرين إلا أنه لم يفلح في ذلك. وقد أسدل الستار على هذا الأمر لأن الدولة السعودية الأولى غدت مشغولة في حروبها ضد قوات محمد على باشا والدولة العثمانية في منطقة الحجاز.

وتأسيساً على ما ذكرناه سابقاً فإن الحكم السعودي في البحرين لم يكن حكماً مستقراً. كما أن قبضة الدولة السعودية على البحرين لم تكن كقبضتها على قطر. وفي اعتقادي أن هذا له من الأسباب ما يبرره، فالبحرين بالرغم من قربها من الدمام إلا أنها تحتمي بخط دفاعي طبيعي هو الماء. وهذا أمر لا يستهان به إذا أخذنا بعين الاعتبار صعوبة المواصلات البحرية وقتذاك بخاصة وأن الدولة السعودية لم يكن لديها أي أسطول بحري عسكري. وإنها كانت تستخدم مراكب الغوص إذا اقتضت الضرورة إليها. أما عن قطر فهي امتداد طبيعي للأحساء ولا توجد بينهما الحواجز الطبيعية كما هو الحال بين البحرين والمنطقة الشرقية من الدولة السعودية. وإذا أضفنا إلى هذا كله مبدأ الخلاف المذهبي القائم بين اتباع الدولة السعودية وبعض الفئات السكانية في البحرين. بعكس قطر إذ أن معظم السكان فيها هم من ذوي المذهب الحنبلي السائد في الدولة السعودية. هذا إلى جانب أهمية موقع البحرين ومدى التنافس الدولي والمحلي عليه.

الدولة والكويت

كلمة الكويت تصغير لكلمة كوت. وهي كلمة برتغالية تعني القلعة أو المكان

(٨) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ١، مطابع الرياض الحديثة، ص١٥٠.

(٩) رحمة بن جابر الجلاهمة: هو من العتوب إلا أنه ينقم على آل خليفة وعلى آل صباح لأن كلاً منهما حكم منطقة من مناطق الخليج، دون أسرة رحمة. لذا فكان رحمة يقدم العون لكل من يهاجم آل خليفة إنتقاماً منهم على ما أصاب أسرته. ارجع في هذا الموضوع إلى د. جمال زكريا قاسم في مقال له عن رحمة بن جابر الجلاهمة، نشر بحولية كلية آداب جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٦٤م.

الشبيه بالقلعة المبنى قرب الماء. ثم استعمل هذا اللفظ للمكان أو القرية أو البلدة التي تبنى بالقرب من الماء. وقد استخدمت هذه اللفظة في مناطق جنوب العراق والبلدان المجاورة لها[١٠].

كانت الكويت تتبع حكم بني خالد عندما قدم العتوب إليها عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م. وقد ظل العتوب ومنهم آل الصباح تابعين لبني خالد حتى ضعفت سيادة بني خالد على الأحساء والمنطقة التابعة لها. عندها لجأ آل صباح إلى والي بغداد العثماني وطلبوا منه إقرارهم على حكم الكويت مقابل إعلانهم التبعية السياسية للدولة العثمانية تحت إمرة والي بغداد.. وهكذا نجح جد آل صباح في إقناع والي بغداد في قبول سيادتهم على الكويت تحت تبعية الدولة العثمانية، ومن ذلك الزمن أعطى الشيخ صباح لقب قائممقام الكويت عام ١١٣٠هـ/١٧١٨م. ومنذ ذلك التاريخ برزت أسرة آل صباح على مسرح الأحداث السياسية في منطقة الخليج العربي[١١].

والجدير بالذكر هنا أن آل صباح كانوا متحالفين مع أقاربهم آل خليفة والجلاهمة وكان لآل صباح شؤون الحكم، ولآل خليفة شؤون التجارة ولآل الجلاهمة شؤون الغوص والعمل في البحر. وكان من شروط هذا التحالف الدموي أن وزعت الأرباح والواردات على جميع أعضاء الحلف بالتساوي[١٢].

وللكويت أهمية تجارية ممتازة فهي مفتاح الخليج من الشمال، وإليها تحولت جميع السفن التي تحمل البضائع القادمة من الهند إلى بغداد أو إلى بلاد الشام أو إلى الأناضول.

(١٠) انظر مجلة المشرق البيروتية، العدد رقم ١٠، الصادر عام ١٩٠٤م، ص ٤٤٩-٤٥٨. مقال منشور حول تسمية الكويت للأب أنستاس الكرملي. وانظر كذلك: د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي الجزء الأول، طبع معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ط٢، ١٩٦٨م، ص١٦١ و ١٦٢.

(١١) د. جمال زكريا قاسم: رحمة بن جابر الجلاهمة، حولية كلية آداب عين شمس بالقاهرة، ١٩٦٤م، ص١٨٢.

(١٢) حسين خلف خزعلي: تاريخ الكويت، الجزء الأول، بيروت: ١٩٦٢م، ص٤٣.

وغدت الكويت مركزاً يقيم فيه ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية بعد أن نقل مركزه من البصرة(١٣) وهي كذلك من أكبر مراكز تجمع البضائع التي ترد إلى نجد ومناطق غرب الجزيرة.

ولم تبق الكويت بمنأى عن أحداث الدولة السعودية. ففي عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، (السنة التي دخل فيها السعوديون الأحساء والقطيف) قاد إبراهيم ابن عفيصان حملة عسكرية لإدخالها في بوتقة الدولة السعودية الأولى، وقد غنم إبراهيم بن عفيصان الغنائم الكثيرة في هذه الحملة، لكنه لم يكن في مقدوره أن يخضع الكويت للسيادة السعودية(١٤). وتحت ضغط الهجوم السعودي على الكويت من جهة الجنوب وضغط هجوم قبائل المنتفق عليها من الشمال اضطر آل صباح أن يحيطوا مدينة الكويت بسور قوى ومرتفع حتى تستطيع المدينة صد الحملات العسكرية الموجهة ضدها(١٥).

وقد ردت الكويت على هذه الحملة بإرسال حملة عسكرية انتقامية ضد بدو آل سعود الساكنين على الحدود السعودية الكويتية، إلا أن هذه الحملة لم تعط النتائج التي أرادتها الكويت، وعادت دون أن تفعل شيئاً(١٦).

قاد سعود بن عبدالعزيز حملة عسكرية ضد الكويت عام ١٢١٩هـ ١٨٠٤م. وعسكر بقواته في قرية الجهرة، ولكنه انسحب قبل أن يشتبك مع أهالي الكويت. وتعتبر هذه الحملة العسكرية السعودية هي الحملة العسكرية الوحيدة التي أرسلتها الدولة السعودية الأولى ضد الكويت لإدخالها في بوتقة الدولة السعودية ومجتمعها السعودي.

---

(١٣) انظر عبدالعزيز حسين: المجتمع العربي في الكويت، معهد الدراسات العربية (بدون)، ص٢٢. وكذلك راشد عبدالله الفرحان: مختصر تاريخ الكويت. القاهرة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م. ص ٦٣.

(١٤) حسين خلف خزعل: المرجع السابق، ص ٥٦.

(١٥) سيف مرزوق الشملان: من تاريخ الكويت، القاهرة: ١٩٥٩م، ص١٢٣.

(١٦) سيف مرزوق الشملان: المرجع السابق، ص٥٦.

ونلاحظ أن الإنجليز كانوا يراقبون الموقف عن كثب. فاستغلوا هذه الأحداث فعرضوا حمايتهم على حاكم الكويت الأمير عبدالله الأول آل الصباح، إلا أن هذا الأمير رفض العرض الانجليزي وآثر الاستقلال(١٧) مع الإحتفاظ بالتبعية العثمانية عن طريق ولايتي بغداد والبصرة.

وبعد هذا نلاحظ أن الدولة السعودية الأولى كانت قد انشغلت في الدفاع عن نفسها ضد حملات محمد علي باشا والعثمانيين. وكان انشغالها في هذا المجال انشغالاً متواصلاً أبعدها عن الاهتمام بالتوسع في مناطق الخليج أو تثبيت سيادتها على مناطق تأتي في عمق المنطقة. وظل الوضع كذلك حتى سقوط الدولة السعودية الأولى على يد قوات إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م.

ونلاحظ كذلك أن أحداث الدولة السعودية مع الكويت كانت قد لفتت انتباه الدولة العثمانية، عن طريق ولاية البصرة إلى تركيز نفوذها في الكويت، وإلى متابعة الأحداث العسكرية والسياسية في المنطقة لأن هذا يؤثر على وجودها في الكويت إذا أن الكويت تشكل حماية لولاية البصرة من الجنوب.

وقد أدى هذا الموقف إلى تنافس عثماني بريطاني في المنطقة بخاصة على الكويت لأنها تشكل نقطة مهمة من نقاط الأطماع التوسعية البريطانية في الخليج لأنها في نظر بريطانيا تشكل أهمية عسكرية وتجارية في الحفاظ على مبدأ المواصلات الأمبراطورية، أي مبدأ الحفاظ على أمن الاستعمار البريطاني في الهند والشرق.

ونتيجة لتلك الحوادث فقد حاولت بريطانيا بسط سيادتها العسكرية على مناطق خليجية أخرى كنقاط احتياط للمحافظة على استعمارها واستراتيجيتها في المنطقة. وقد تطلب هذا من بريطانيا زيادة قوتها العسكرية بخاصة البحرية منها في منطقة الخليج كي تحمي نفوذها من الصراع المحلي الدائر في المنطقة.

(١٧) عبدالعزيز حسين: المرجع السابق، ص٢٥.

الدولـــة وعُمـــان

عُمان منطقة واسعة تقع بين ساحل عُمان[١٨] (ساحل الامارات) وبين ساحل الجزيرة العربية الجنوبي الشرقي في تجاه جزيرة مصيرة. وتنقسم عمان إلى: منطقة الظاهرة، وهي تمتد من رأس الخيمة والصير إلى جزيرة مصيرة. وأهم مدنها نزوى وبهلى وبلدان جعلان ومنطقة الحجر، وهي منطقة جبلية تمتد من الجنوب باتجاه الشمال. وفيها كثير من المدن والقرى مثل: رستاق وسمائل والجبل الأخضر وازكى. وتجدر الملاحظة أن البلدان الواقعة في هذه المنطقة بين الحجر والبحر تسمى «بالباطنة»، ومن مدنها الرئيسة تأتي: صحار وشناص ومضلعة ومسقط عاصمة أئمة عمان. ومنطقة الصير وتشمل أرض بني ياس من (خيران) وتنتهي برؤوس الجبال من ناحية الجنوب في الشرق من عمان.

وتقطن عمان مجموعة قبائل هي: بنو كعب وبنوياس وبنو قتب والمناصير والعوامر والنعيم والعجمان والدروع وآل وهيب وبنو مهير والمطاريش[١٩] وانقسمت هذه القبائل إلى مجموعتين[٢٠] هما:

- القبائل الهناوية: وهي ذات المذهب الأباضي.
- القبائل الغفارية: وهي ذات المذهب السني.

---

(١٨) إن ساحل عمان أو ما يسمى اليوم بالامارات العربية المتحدة كان قد سمي بعدة أسماء في عهد النفوذ والاستعمار البريطاني في المنطقة. فقد أسماه الإنجليز بساحل القرصنة « Pirate Coast » ويتضح من هذه التسمية مدى تجني بريطانيا على التاريخ والحق عندما تعد الجهاد ضدها قرصنة. ثم غيرت بريطانيا تسميته هذه إلى تسمية أخرى بنتها على متغيرات الأحداث في المنطقة فصارت تسميه بالساحل المهادن أو الساحل المتهادن « Trucial Coasts ». ثم غيرت تسميته بناءاً على متغايرات الأحداث التي أجرتها بريطانيا في المنطقة، إلى إسم الساحل المتصالح أو ساحل الصلح « Peace Coasts ». فنلاحظ من تطور هذه التسمية مدى نفوذ بريطانيا في صنع أحداث المنطقة والتأثير عليها وقتذاك.

(١٩) لم الشهاب: المرجع السابق، ص ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢٠) Handbook of Arabia, Vol. I., p. 240.

ويحتل موقع عمان أهمية كبيرة في الخليج ، ولها ساحل كبير مشرف على الخليج وهي كذلك تشرف على ممر مائي ممتاز هو مضيق هرمز « Strait of Hormuz » الذي يشكل حلقة الوصل بين خليج عمان الموصل إلى بحر العرب وبين الخليج العربي الموصل إلى الشمال إلى العراق وإيران . وقد جلبت أهمية عمان على الأهالي الكثير من غضب الاستعمار ونقمته متمثلاً ذلك في الاستعمار البرتغالي والاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي ، إلى جانب توسعات إيران في المنطقة .

ولما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى منطقة الأحساء . بعدها بدأت الدولة السعودية تتطلع إلى نشر مبادىء دعوتها في عمان ، ومن ثم لابد من امتداد رقعتها في هذه المنطقة . فأمر الإمام عبدالعزيز بن محمد قائده مطلق المطيري بغزو عمان الصير حيث تسكن قبائل بني ياس . إلا أن مطلق المطيري لم يوفق في الاستيلاء على المنطقة في هذه الحملة[٢١] عندها رأى الإمام السعودي أن يوكل الأمر إلى قائده إبراهيم بن عفيصان الذي لعب دوراً بارزاً في دخول المنطقة الشرقية . فقاد إبراهيم بن عفيصان حملة عسكرية إلى منطقة الصير ضد بني ياس حتى أجبرهم على طلب الأمان من إمام الدرعية . ثم لحقت بهم قبائل نعيم الذين كانوا يسكنون واحات البريمي[٢٢] .

لقد أرسلت الدرعية إليهم عالماً ليعلمهم مبادىء دعوة الشيخ[٢٣] ثم بدأ التدريس الديني المبني على مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ككتاب التوحيد وغيره . ومنذ ذلك التاريخ دفعت قبيلة بني ياس الزكاة إلى الدولة السعودية الأولى . وقد لحقتها في ذلك قبيلة نعيم ومنذ ذلك التاريخ وهاتين القبيلتين تدينان بولائهما لآل سعود . والجدير بالذكر أن هاتين القبيلتين هما من القبائل الغفارية السنية التي ربما رأت في انضمامها لآل سعود سيقوي مركزها ضد الحلف القبلي المناوى الأباضي .

لقد دخل إبراهيم بن عفيصان البريمي عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م . وأقام هذا

(٢١) لمع الشهاب ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .
(٢٢) لمع الشهاب ، نفسه ، ص ٧٩ .
(٢٣) لمع الشهاب ، نفسه ، ص ٧٩ .

القائد وجنده في البريمي وبنى فيها قصراً كبيراً ليكون مقر القيادة السعودية في المنطقة هو قصر الصبارة الذي يقع في الطريق الموصل بين البريمي وحماساً.وعين إبراهيم بن عفيصان أميراً عليها. يقول عبدالله بن صالح المطوع من أهالي الشارقة في مخطوطة «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» ورقة (٤٩) ما يلي: «فقدمنا فيما سبق استدعاء أهل عمان الأمير سعود وفيما يلي نقدم التفصيل عن ذلك. في سنة ١٢١٠هـ وجه الأمير سعود بن إبراهيم بن عفيصان إلى عمان. وأمره أن ينزل البريمي لأنها أقرب البلاد إلى الأحساء ولأن أهلها ينتمون غالباً إلى القبائل العدنانية، ويضمهم الحزب الغافرى. ولما وصلها وجد أهلاً ونزل سهلاً ولم يرفع في وجهه سوط. ولم يتخلف في استقباله أحد. كما أنه هو لم يتدخل بين الأمراء وجماعتهم. ورضى منهم بالسمع والطاعة. ودفع الزكاة لآل سعود، وقبول الدعوة السلفية، وإزالة البدع والخرافات والرجوع إلى الكتاب والسنة».

ويقول أيضاً: «وقد انتشرت الدعوة السلفية بين قبائل البدو والحضر، وأخذ الناس يدعون بعضهم بعضاً إلى ذلك «وانصب علماء السلف يعلمون الناس، فشق ذلك على علماء الأباضية وبعض أهل البدع والخرافات من أهل السنة إلا أنهم لم يفعلوا شيئاً ولم يقاوموا».

وقد جاء القائد السعودي سالم بن بلال الحرق إلى منطقة البريمي عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م كأمير عليها خلفاً لابن عفيصان. وقد بدأ هذا القائد يوسع نفوذ الدولة السعودية في عمان بين القبائل والبلدان القريبة من البريمي باتجاه الساحل. وعن طريق حملات هذا القائد سيطرت القوات السعودية على كثير من البلدان المجاورة للبريمي. ومن ثم فإن جميع قبائل نعيم والظواهر وبني ياس أطاعت الدولة السعودية الأولى ودفعت الزكاة لها دلالة على هذه الطاعة[٢٤].

وقد حذا حذو هذه القبائل أهالي قبيلتي بني راسب وبني علي. وهكذا امتد نفوذ

(٢٤) عرض حكومة المملكة العربية السعودية في شأن النزاع حول واحات البريمي الجزء الأول، ص ١١٤ نشرت وثائق هذا العرض عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م في القاهرة.

الدولة السعودية الأولى في عمان والساحل. وكان هذا الامتداد قد أثار القبائل الهناوية ضد القبائل الغفارية المؤيدة والمدعومة من قبل آل سعود[٢٥].

وتحت ضغط العمليات العسكرية السعودية المتواصلة في عُمان، بخاصة تلك الحملات التي وصلت إلى سهل الباطنة اضطر السيد سلطان بن أحمد حاكم عُمان أن يطلب الصلح من الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود، مقابل أن يدفع الزكاة للدرعية. وقدرت قيمة الزكاة التي سيدفعها السيد سلطان بخمسة آلاف ريال سنوياً[٢٦].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيد بدر بن سيف البوسعيدي الذي خلف السيد سلطان في حكم البلاد كان قد أيد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبل أن يتولى الحكم وبعده. إلا أن هذا الموقف لم يعجب أسرة آل بوسعيد الذين ثاروا عليه وقتلوه عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م. وتولى أمر عمان من بعده السلطان سعيد بن سلطان.

يقول صاحب لمع الشهاب عن تأييد بدر للدولة السعودية ودعوتها ما يلي: «... أرسل بدر رسلاً إلى سعود عن طريق القطيف وأرسل معهم تحفاً وهدايا كثيرة وكتب له كتاباً جاء فيه: إني أعاهدك على هذا الدين ومطيعاً له. هذا كل ما تأمرني به من الأوامر والجهاد أفعل لا محالة»[٢٧].

أما عن خليفته سعيد بن سلطان فقد تحارب مع القوات السعودية وكان يساعده في موقفه هذا ابن عمه قيس بن أحمد، وكان هم سعيد أن يخرج القوات السعودية من عمان وأن لا يدفع الزكاة للدولة السعودية. لكن قوات الأمير مطلق المطيري ردت هذا الهجوم وانهزمت قوات حاكم عمان في موقعة خورفكان، وقتل قيس بن أحمد في هذه

---

(٢٥) د. سيد نوفل: الأوضاع السياسية، جـ٢، ص٥١.

(٢٦) أشارت إلى هذا وثائق حكومة بومباي: ص ١٧٤ في المجلد رقم ٢٤.

Bombay Government: Selections of Treaties from the Records of Bombay. Vol. XXIV

(٢٧) لمع الشهاب: المرجع السابق ٨٥ و ٨٦.

الموقعة، وبعد فشل حاكم مسقط في هذه الموقعة صارت الطريق مفتوحة أمام القوات السعودية لدخول جميع عمان والسيطرة عليه. وقد استفاد مطلق المطيري من هزيمة حاكم مسقط واتباعه فتقدم ودخل مطرح وواصل زحفه حتى وصل مدينة مسقط على الساحل، وأعلنت معظم مدن عمان وقراها وبلدانها الخضوع للسيادة السعودية. وقد خضعت كل من بهلى ونـزوى للحكم السعـودي. ويذكـر صاحب لمع الشهاب أن القوات السعودية أخضعت بعض بلاد الحجر الواقعة بين الباطنة وبين الظاهرة. وقد عاد حاكم عمان السلطان سعيد إلى دفع الزكاة للدولة السعودية الأولى في عهد إمامها سعود الكبير(٢٨).

وقد أثارت هذه الأحداث تخوف بريطانيا على مصالحها في الخليج فأرسلت قوة بحرية جاءت من الهند واحتلت رأس الخيمة عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م. وتحت إلحاح حاكم مسقط قامت هذه القوة البحرية الانجليزية ببعض الأعمال العسكرية التهديدية في ميناء شناص ثم بعدها عادت إلى الهند.

وقـد تحدى القـائد السعودي مطلق المطيري هذه الاجراءات. فهاجم قوات حاكم مسقط وكسرها قرب شناص. ثم تقدم بقواته إلى سهل الباطنة وبعدها عاد إلى مركزه في البريمي(٢٩).

ونلاحظ من الأحداث السالفة الذكر أن مركز حكومة الدرعية كان قوياً في عمان فدخلت الدولة السعودية معظم بلدانه في الجنوب والشمال والشرق. ودفع حكام مسقط الزكاة لها. وقد نشرت الدولة السعودية مبادىء دعوتها في المنطقة بين القبائل العدنانية السنية. وأقامت في المنطقة القرى والقصور والمساجد وغير ذلك من المعالم التي مازالت باقية إلى يومنا هذا في المنطقة(٣٠). وغدت قبائل: نعيم وبني ياس وآل علي والعوامر وبني

(٢٨) لمع الشهاب: المرجع السابق، ص٨٨.

(٢٩) قدرى قلعجي، الخليج العربي، بيروت ١٩٦٥م، ص ٤١٠.

(٣٠) ارجع في هذا الأمر إلى: عبدالله بن صالح المطوع في مخطوطة «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» والمخطوط محفوظ في مكتبة آرامكو بالظهران.

قتب وبني كعب والهشم والجنبة وبني راسب والقواسم، قبائل تؤمن بمبادىء الدعوة السلفية وهي جميعها من القبائل السنية الغفارية.

وعلينا أن نلاحظ أن توغل القوات السعودية في أعماق الأراضي العُمانية كان قد شجع حكام مسقط على مطالبة بريطانيا بدعم حكمهم. وهذا بدوره نشط حركة النفوذ البريطاني في المنطقة، بخاصة بعد أن انشغلت الدولة السعودية الأولى في الدفاع عن حدودها الغربية ضد حملات محمد علي والدولة العثمانية عليها.

الدولـــة وساحل عُـمَـان

نلاحظ أن دخول قبيلة نعيم في طوع الدولة السعودية وتطبيقها لمبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المنطقة، كان قد عزز النفوذ السعودي في ساحل عمان. ومنذ اللحظة التي انضمت فيها نعيم للسيادة السعودية بدأ السعوديون في إقناع قبائل المنطقة للإنضمام في بوتقة الدولة السعودية الأولى. وقد وجه السعوديون نداءهم هذا إلى القـواسم سكان رأس الخيمة عن طريق إقناع رئيسهم الشيخ صقر بن راشد في الإنخراط في سلك الدولة. إلا أن زعيم القواسم رفض هذا النداء، وعندما لجأت الدولة إلى محاربته عن طريق قبائل نعيم، فقد قاومها وصمد في مقاومته[٣١]. عندها تدخلت الـدولـة السعـودية. فقامت بإرسال قوات عسكرية بقيادة مطلق المطيري، حاصرت رأس الخيمة وقطعت الطريق بين المدينة ومزارع نخيلها كحصار اقتصادي عليها. وظل المطيري يشدد في الحصار حتى اضطرت المدينة إلى طلب الصلح منه عن طريق رئيس القواسم الشيخ صقر بن راشد عام ١٢١٢هـ/١٧٩٩م. وكان من بين بنود هذا الصلح أن يقبل القواسم تعاليم الدعوة وأن يدفعوا الزكاة للدولة السعودية[٣٢].

ويقول صاحب «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان».. عن استدعاء أهل عمان لآل سعود: «كانت الدعوة السلفية قد انتشرت وأجاب بعض أهل عمان الدعوة

(٣١) انظر: Kelly (J.B.),: Eastern Arabian Frontiers, (London 1964), p. 55.

وكذلك: لمع الشهاب، ص ٧٩.

(٣٢) لمع الشهاب: ص ٧٩ و ٨٠.

إلى التوحيد. وكان أول من أجاب إلى ذلك هم أهل بلدة ضاية (الرمس) وهم من قبيلة بني سالم من الطنيج. فكتبوا إلى الأمير سعود يستدعونه رغبة منهم في التوحيد».

ويقول كذلك «وهكذا حذا حذوهم أهل الجزيرة الحمراء: وهم من قبيلة زعاب من بني سليم. والجزيرة الحمراء ليست جزيرة في وسط البحر كما يتبادر إلى الذهن، وإنما هي بلدة على ساحل الخليج. إذا مدّ البحر أحاط بها من جميع الجهات فلا يوصل إليها إلاّ من مخاضة معروفة لديهم. وإذا جزر البحر انحسر من ثلاث جهات. وهم أهل عدة وعدد كانوا في بدء الأمر لم يدخلوا في الحلف مع القواسم. ولكن في سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٤م مشى إليهم الشيخ صقر بن راشد القاسمي، فحاربهم واستولى على بلادهم، فدخلوا في الحلف»[٣٣]. ويقول أيضاً: «ولما علموا بوصول الأمير سعود إلى الأحساء كتبوا اليه يستدعونه إلى عمان رغبة في دعوة التوحيد وتخلصاً من حكم القواسم. ولهذا كان آل سعود يقدمون هؤلاء على غيرهم من أهل عمان لأنهم يعدونهم أهل السابقة».

ونلاحظ من هذا النص:

١ ـ أن أهل عمان، سكان بلدة الرمس أجابوا بقبول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهم كذلك الذين استدعوا آل سعود إلى بلدهم.

٢ ـ انتشار دعوة الشيخ وبالتالي توسيع رقعة الدولة في هذا المكان بشكل سلمي.

٣ ـ إن أهل الجزيرة الحمراء وهم قبيلة زعاب من بني سليم كانوا قد حذوا حذو أهل الرمس. أي بمعنى أنهم أطاعوا الدولة السعودية وآمنوا بدعوة الشيخ بشكل سلمي كذلك، بخاصة وأنهم يريدون التخلص من حكم القواسم.

والذي يقرأ رواية لمع الشهاب في مسألة دخول قبيلة زعاب في دعوة الشيخ وانضمامها إلى الدولة السعودية الأولى يجد الفرق الشاسع بين مفهوم روايته ومفهوم رواية صاحب «عقود الجمان» فيقول صاحب لمع الشهاب: «وأما أطراف قواسم رأس الخيمة

(٣٣) انظر المخطوط لمؤلفه الشيخ عبدالله بن صالح المطوع من أهالي الشارقة بساحل عمان ورقة (٤٨ و ٤٩).

مثل زعاب، أهل الجزيرة الحمراء، فلم يؤدوا الطاعة لمطلق. وكذا طنيج أهل الرمس، فإنهم حاربوا آل سعود بعد إطاعة القواسم بأربع سنين، ثم أطاعوا بعد ذلك. . .»[٣٤].

ويلاحظ من هذه الرواية أن إنضمام هذه الجماعة إلى الدعوة والدولة السعودية كان بعد عملية حربية ضدهم أجبرتهم على قبول الدعوة والانضمام إلى الدولة. بينما توضح لنا رواية صاحب «عقود الجمان» أن هذه الجماعة آمنت بالعدوة وانضمت إلى الدولة عن طريق سلمي. وفي اعتقادي أن رواية صاحب عقود الجمان أقرب إلى الحقيقة، بخاصة وأن هذه الجماعة كانت ترى ضرورة التخلص من سيطرة القواسم عليهم، وكان لا يمكن أن يتم هذا إلا بعد مناصرة آل سعود لهم لأنهم القوة المحلية القوية في المنطقة. وهذا يجرنا إلى طرح سؤال هو، إذا كان القواسم قد أطاعوا الدولة السعودية قبل قبيلة زعاب بأربع سنوات فكيف تقبل الدولة مناصرة زعاب على القواسم أصحاب النفوذ في المنطقة وهم أصحاب السابقة في الدخول في طاعة الدولة؟ ثم مادام أن زعاب تخضع للقواسم والقواسم خضعوا للدولة، إذاً لابد وأن تكون طاعة زعاب طاعة أتوماتيكية ولا تحتاج إلى طلب التدخل السعودي ضد سيادة القواسم عليهم التي امتدت منذ عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٤م.

وصول الدعوة والدولة إلى جعلان

كان الشيخ سالم بن علي بن سلطان آل حمودة قد توجه إلى الدرعية ودرس هناك تعاليم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثم بعدها عاد إلى بلاده جعلان وبدأ ينشر أفكار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته. وساعده في هذا المجال أخوه الشيخ محمد ابن علي بن سلطان آل حمودة.

---

(٣٤) لمع الشهاب : ص ٨١.

(*) والجدير بالذكر أن مؤلف لمع الشهاب كان قد تحامل على الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى في مؤلفه هذا. مع العلم أن المؤلف مجهول إلا أن ناسخ الكتاب معروف وهو حسن الريكى. والريك منطقة في إيران.

وأول عمل قام به هذا الشيخ ، أعني الشيخ سالم، هو أنه رفض دخول جعلان إلا بعـد أن تهدم قبـة كانت مقامة على قبر تعبد من دون الله . لكن شيوخ المنطقة وعجائزهم رفضوا هذا الطلب عندما امتنع الشيخ سالم من دخول جعلان ، وبقي خارج المنطقة وأخذ الشباب يترددون عليه فيكرمهم ويذبح لهم ويعلمهم الدعوة، فصاروا من أتبـاعهـا ، وتقوى بهم هذا الشيخ ، ولما كثروا هجموا على القبة ودمروها . وأخذ أمر الشيخ سالم في تقدم ، واتباعه في ازدياد حتى عمت الدعوة جميع السكان . إلا أن هذا العمل أدى بالسلطان السيد سعيد إلى محاربة أهل جعلان ، حتى أن حلفاءه الإنكليز كانـوا قد شاركـوا في الهجوم عليهـم . ومما أغضب حاكم مسقط آنذاك هو ترك أهل جعلان مذهب الأباضية واعتناقهم تعاليم السلفية . وقد كسر الجعلانيون السيد سعيد بالرغم من أن قواته تمتلك ثمانية مدافع وعددها ألفي مقاتل . وجرح في الموقعة السيد سعيد وذلك في ٩ نوفمبر ١٨٢٠م / ١٢٣٥هـ .

والجـدير بالـذكر . . أن سكان جعلان هم من بني علي . وقد وصفهم المؤرخ العماني عبدالله السالمي في مؤلفه «تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان» بأنهم «أهل عدة وعدد وصولة يضرب بها المثل . يعتقدون القتال ديناً . وكان السلطان سعيد بن السلطان قد جيش لهم الجيوش من أهل عمان»(٣٥) .

أمـراء الدولة السعودية الأولى
فـي الـبريمـي

نجد في مخطوط «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» سجلاً ممتازاً لأمراء الدولة السعودية الأولى في عمان(*)، وإن كان هذا السجل مأخوذاً في معظمه من كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لمؤلفه عثمان بن بشر . فنجد في هذا المخطوط معلومات قيمة عن هؤلاء الأمراء وأعمالهم وفترات إمارتهم والقصور التي أقاموا فيها أثناء الفترة التي قضوها في الإمارة وشعور الأهالي العام وانطباعهم تجاههم* .

---

(٣٥) عبدالله بن صالح المطوع ، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان ، ورقة ٨١ من المخطوط .

(*) إن المؤرخ عبدالله السالمي ، مؤرخ يناصر عمان ، فتأتي كتاباته متحمسة للعمانيين وحكامهم .

(*) هذا مأخوذ من مقال للدكتور أبو علية عنوانه «دراسة تاريخية حول مخطوط عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» .

وبعد الدراسة المقارنة من المصادر عن هذا الموضوع أصبح بالإمكان وضع جدول بالأمراء السعوديين الذين تولوا إمارة البريمي والمنطقة السعودية التابعة لها في عُمان وساحله[٣٦].

الأمـــير	سنة ولايته	معـــلومـات عنـــه
١ ـ إبراهيم بن سليمان ابن عفيصان	١٢١٠هـ ـ ١٧٩٥م	اتخذ مقره في هالة. بني في هالة قصر الصبارة. عقد أول معاهدة مع القواسم عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.
٢ ـ سالم بن بلال الحرق	١٢١٨هـ ـ ١٨٠٣م	وهو من موالى آل سعود. وفي فترة إمارته في عمان امتد نفوذ آل سعود فيها بشكل واسع. فوصل حكمهم أرض بني عامر وساحل الباطنة والظاهرة وجهات شمالية أخرى. ثم امتد نفوذهم باتجاه الجنوب.
٣ ـ مطلق بن محمد المطيري	١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م	ذكر المؤرخ العماني عبدالله السالمي في مؤلفه «تحفة الأعيان»: أن الأمير مطلق بن محمد المطيري جاء إلى عمان عام ١٢٢٢هـ. وتردد هذا الأمير على عمان ثلاث سنوات. ويذكر السالمي أن مجيئه إلى عمان كان عذاباً وبلاء عليها.
٤ ـ أمير غير معروف الاسم	١٢٢٣هـ ـ ١٨٠٨م	جاء هذا الأمير على رأس سرية صغيرة في السنة المذكورة إلى أن قدم

(٣٦) انظر المخطوط من روقة ١٤٩ إلى ورقة ١٥٥.

الأمـــير	سنة ولايته	معـــلومات عنـــه
		إلى عمان الأمير عبدالله بن مزروع(٣٧).
٥ ـ عبدالله بن مزروع	١٢٢٤هـ ـ ١٨٠٨م	يذكر صاحب المخطوط نقلاً عن ابن بشر أن هذا الأمـير هو صاحـب منفـوحـة. أرسله الإمـام سعود بن عبـدالعـزيز إلى عمان بعـد إحـراق الإنكليز رأس الخيمة نزل هذا الأمير في قصر البريمي(٣٨).

(٣٧) يقول المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في مؤلفه «عنوان المجد في تاريخ نجد» الجزء الأول. ص ١٧٥ مطابع القصيم بالرياض الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ ما يلي: «وفي سنة ١٢٢٣هـ» بعث سعود رحمه الله تعالى سرية إلى عمان قليلة لتعليم فرائض الدين والاطلاع على أحوالهم».

(٣٨) يقول ابن بشر، جـ١، طبعة مطابع القصيم ١٣٨٥هـ، ص ١٨٠ ما يلي: «وفيها (١٢٢٤هـ) أقبلت مراكب الإنكليز النصارى إلى مستنجدهم سعيد إبن سلطان صاحب مسقط المعروفة في عمان بعد نقض العهد. وقصدوا أهل بلد رأس الخيمة المعروفة في عمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر ابن راشد أمير القواسم. وبندروا فيها وحاربوا أهلها فلم يحصلوا على طائل فرفعوا على البلد بلوناً وجعلوه في عين الشمس وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها وكان أكثر بيوتها صرايف من عسيان النخل، فدخلوا البلد واستباحوا ونهبوا ما فيها وأشعلوا فيها النيران ودمروها، هرب سلطان بن صقر وغالب أهل البلد حتى فرغ العدو منها، وانتقل عنها فرجعوا إلى بلادهم فعمروها وحصنوها. ثم أن سعوداً أرسل إلى عمان عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة وعدة رجال من أهل نجد وأمرهم بنزول قصره المعروف في عمان، مع مطلق المطيري بجيش من أهل نجد وأمر أهل عمان بالاجتماع عليه والقتال معه، فاجتمع عليه مقاتلة أهل عمان مع ما معه من أهل نجد فقاتل أهل الباطنة صحار ونواحيها ومن تبعهم ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس، وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسقط..».

الأمير	سنة ولايته	معلومات عنه
٦ ـ مطلق بن محمد المطيري	١٢٢٤هـ ـ ١٨٠٩م	عاد إلى عمان للمرة الثانية ليثأر ممن تسبب في إحراق البريمي[٣٩].
٧ ـ أمير غير معروف الاسم	١٢٢٥هـ ـ ١٨٠٩م	أرسله الإمام سعود بن عبدالعزيز[٤٠]
٨ ـ عبدالعزيز بن غردقة	١٢٢٥هـ ـ ١٨١٠م	جاء إلى البريمي بعد عزل المطيري. وهو صاحب الأحساء. قتل في السنة المذكورة[٤١].

(٣٩) يقول ابن بشر، جـ١، ص ١٨٠ ـ ١٨١، طبعة القصيم ١٣٨٥هـ ما يلي: «.. ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيري جميع مَن هو من رعية سعود من أهل عمان فنازل أهل صحار بالوف من المقاتلة. ودخلت سنة خمس وعشرون وهم على ذلك يقتلون ويغنمون، وأخذ مطلق ومن معه قرى كثيرة من نواحي صحار من أهل الباطنة. وبايع غالبهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. ولم يبق محارب إلا مسكة ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان من قيس، وغنموا منها غنائم كثيرة، زائدة وبعثوا الأخماس إلى سعود في الدرعية..».

(٤٠) يقول ابن بشر، جـ١، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ : مطابع القصيم ١٣٨٥هـ ما يلي: وقع خلاف بين الإمام سعود بن عبدالعزيز وأبنائه تركي وناصر وسعد فرحل الأبناء إلى عمان، وقاموا بحرب بلد مطرح والباطنة وجعلان وصور وصحار.. الخ. وكان الإمام سعود آنذاك يؤدي فريضة الحج. فلما سمع بذلك:

«... أفزعه ذلك وغضب غضباً شديداً، فلما رجع إلى الدرعية طلب منه رؤساء أهلها أن يعفو عنهم ويرسل إليهم ويبذل لهم الأمان. فأبى ذلك فبعث جيشاً من الدرعية نحو أربعين رجلاً، وقال لهم. اقصدوا قصر البريمي المعروف في عمان واخرجوا منه المرابطة الذين فيه وامسكوه، ولا تدعوا أحداً من أبنائي ولا أحداً من جنودهم يدخله..».

(٤١) يقول ابن بشر جـ١، ص ١٨٩، ما يلي:

«.. فلما خرج هؤلاء (مطلق المطيري وأبناء سعود والجيش التابع لهم) من عمان وقع فيه بعض الخلل ونقض العهد أكثر بني ياس: فكتب سعود لعبدالعزيز بن غردقة صاحب الأحساء وأمره أن يقصد عمان ويكون هو أمير الجيوش فيها. وأمره على غزاة يسيرون معه. فلما وصل عمان وقع بينه وبين بني ياس وغيرهم من أهل عمان وقعة وصارت هزيمة على عبدالعزيز ومن معه فقتل عبدالعزيز المذكور..».

الأمير	سنة ولايته	معلومات عنه
٩ ـ مطلق بن محمد المطيري	١٢٢٥هـ ـ ١٨١٠م	جاء إلى البريمي للمرة الثالثة ليثبت دعائم الوضع السعودي فيه بعد أن أصابه خلل شديد بعد قتل ابن غردقة.
١٠ ـ بتال بن محمد المطيري	(بدون)	وهو أخو مطلق بن محمد المطيري.

القصور السعودية
في البريمي والمناطق العُمانية

هناك في البريمي وفي عمان والمناطق العمانية الساحلية عدد من القصور التي بناها السعوديون في المنطقة أو تلك القصور التي اتخذها الأمراء السعوديون مركزاً لإقامتهم، هذا إلى جانب عدد من المساجد والجوامع المقامة في المنطقة في العهد السعودي في فترة حكمه الأولى.

وإليك جدولاً فيه بعض التفصيلات عن هذا الموضوع:

القصر	معلومات عنه
١ ـ قصر الصبارة	أول قصر بناه آل سعود في البريمي. يقع شرقي حماسا قال عنه الريحاني إنه قصر بُنى على مرتفع من الأرض يبلغ حوالي ألف قدم. شيد هذا القصر في عهد الإمام سعود الكبير.
٢ ـ قصر ظاية	بناه آل سعود في بلدة ظاية فوق الرمس. وتقع ظاية في الشمال الشرقي من رأس الخيمة. بني هذا القصر بسفح الجبل. وهو من أعظم قصور آل سعود في عمان فيه غرف ومرابيع كثيرة وفيه

القصر	معلومات عنه
	مستودعات للذخائر. ومن أكبر غرفه الغرفة المقابلة للباب سميت بغرفة المطيري لأن الأمير المطيري كان يتخذه مجلساً له. يحيط القصر سور سميك من خلفه خندق واسع وعميق. وفيه مسجد جامع كبير. مازالت آثاره باقية إلى الآن. تم بناء القصر عام ١٢١٣هـ. بناه الشيخ محمد بن راشد السالمي شيخ ظاية بعد أن فوضه آل سعود بذلك.
٣ ـ قصر النجدي	بني في قرية الغبب التابعة لرأس الخيمة مازالت آثاره باقية إلى الآن. عرف هذا القصر باسم قصر النجدي.
٤ ـ قصر فلج القبائل	مبنى في واحة فلج القبائل. وهو من أكبر القصور السعودية في المنطقة. آثاره باقية إلى الآن. يقع هذا القصر إلى الجانب الجنوبي الشرقي من مسجد الجامع أمام بيت الشيخ أحمد بن علي. سكان بلد الفلج من بني خالد من أنصار آل سعود. وفلج القبائل عبارة عن واحدة ذات نخيل وأشجار. وهي قريبة من صحار.
٥ ـ قصر العيجة	والعيجة إحدى قرى صحار. كان قصر العيجة مركزاً للأمير مطلق المطيري. وهناك روايتان حول بناء هذا القصر الأولى: تقول إن المطيري هو الذي بناه. وتقول الرواية الثانية إن القصر كان مبنياً قبل مجيء مطلق المطيري. ولما جاء المطيري إلى المنطقة سيطر على القصر بمساعدة من بني على سكان المنطقة.
٦ ـ قصر شناص	استولى عليه أمراء آل سعود عند دخولهم البلد وتقع شناص على ساحل بحر الباطنة. وهي ذات مركز ممتاز.
٧ ـ خمسة قصورة في بني كعب.	وهي متفرقة ومازالت حتى الآن.

وتوجد مجموعة من القرى التي أنشأها آل سعود في المنطقة مثل قرية إذن وتقع بين رأس الخيمة ودبي، أنشأها الأمير مطلق المطيري، وجعل أعلاف خيوله فيها. وقرية فعلى التي تمر بالقرب منها طريق المطيري. وقرية طى القريبة من طرق القوافل الذاهبة إلى نجد وتعرف قرية طى بجزائر المطيري(٤٢).

(٤٢) إرجع في ذلك إلى : عبدالله المطوع: عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، تحت موضوع قرى آل سعود في عمان.

الفصل الخامس

أنظمة الدولة

أولاً : النظام السياسيّ (نظام الحكم)

- الإمام الحاكم.
- ولي العهد.
- أمراء الأقاليم.
- الشورى.

ثانياً : النظام الحربي.

ثالثاً : النظام القضائيّ.

رابعاً : النظام الماليّ.

- مصروفات الدولة من بيت المال.

الفصل الخامس

أنظمة الدولة

أولاً : النظام السياسيّ (نظام الحكم).

ويشتمل هذا النظام على المناصب التالية :

الإمام (الحاكم)

وهو في قمة النظام السياسي، وهو الرئيس الأعلى للدولة وصاحب السلطات الفعلية فيها. ولقب الإمام يشتمل على الزعامتين: الدينية والسياسية. والإمامة ليست منصباً حديث العهد بل هي سلطة سياسية دينية جرى عليها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم[1]. فالإمام هو القائد العام للمسلمين وهو رئيسهم في أمورهم الدينية[2].

فالإمام هو المشرف العام على جميع شئون الدولة. فهو يشرف على الأمور الحربية وبيده حق ابرام معاهدات الصلح وإعلان الحرب ضد العدو. ويشرف على شؤون الأمن في البلاد وتحل عنده المسائل والخلافات المعقدة. ويشرف على شؤون البلاد المالية. وهو المتصرف والمسؤول الأول عن بيت المال. ويشرف على شؤون التعليم ويهتم بأمر الفقراء والمساكين.

---

(١) محمد شيبة بن نور الدين السالمي، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، ص٦٦، دار الكاتب العربي بالقاهرة.

(٢) Major, Hennell, to Government of Bombay, Sept. 9th, 1847 (Bahrein Archives, Book 145, p. 469, Office No 387).

ومما يدعم سلطان الإمام اعتهاد الإمامة في حكمها على مبادىء الشرع والدستور الإسلامي الذي لا يجرؤ الفرد على مخالفته، وهذا ما يعطي الإمام صلاحية مطلقة في العمل والاشراف ما دام متمشياً مع الشرع ومطبقاً لتعاليمه.

كان الإمام في الدولة السعودية الأولى يقود الجيوش الغازية في أكثر الأوقات، باستثناء حالات المرض أو السفر أو الظروف التي تحول دون مشاركته في الغزو، وفي مثل هذه الحالات كان ينوب عنه ولي عهده.

ويقيم الإمام ويمارس مهام عمله في الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى. وكان له ديوان في قصره يجتمع فيه مع مستشاريه وقضاته وأمرائه ورؤساء الأقاليم وشيوخ القبائل والعلماء.

ولي العهد :

كانت ولاية العهد في الدولة السعودية الأولى تعهد إلى الإبن الأكبر من أبناء الإمام الحاكم. فكان الإمام يعهد لأكبر أبنائه بمهمة ولاية العهد ويعهد إليه بقيادة الجيوش الغازية. ويعطينا ابن بشر وصفاً لما كان يتم عند إعلان ولاية العهد فيقول: «أمر الشيخ محمد ـ رحمه الله تعالى ـ أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه وذلك بأمر عبدالعزيز فبايعه جميعهم[٣]».

ومن سلطات ولي العهد وواجباته أنه ينوب عن الإمام في القيام بمهام الدولة أثناء غيابه في حالات الغزو أو المرض. . . إلخ. وكثيراً ما كان يمارس ولي العهد الأمور الحربية والإدارية أثناء عهد أبيه وذلك من أجل تدريبه وإعداده للمستقبل وكي يتعرف على الناس ومشكلاتهم.

---

(٣) ابن بشر، جـ ١، ص ٨٣، مطابع الرياض الحديثة.

أمـراء الأقـاليم

كان الإمام يعين على أقاليم دولته أمراء يطلق عليهم لقب أمراء الأقاليم أو حكام الأقاليم. وقد وجدت هذه المناصب العليا في المناطق لتسد الحاجة الإدارية بعد أن توسعت الدولة فشملت العديد من المناطق.

وقد راعى الإمام أن يكون حكام الأقاليم ممن التزموا بتعاليم الدعوة السلفيّة فأخلصوا بولائهم للدولة السعودية وحرصوا على تطبيق نظمها. أضف إلى هذا فإن الإمام كان يحترم الرؤساء المحليين لما لهم من نفوذ قويٍّ عند جماعتهم وفي مناطقهم من جهة ولأنهم أدرى بمشكلات سكان مناطقهم من غيرهم لأنهم على صلة قوية بهم من جهة أخرى.

ومنصب الأمير أو حاكم الإقليم منصب مهم وحساس لأنه من المراكز القيادية في الدولة. فالأمير في إقليمه هو الممثل الأول للإمام في هذا الإقليم. وهو المشرف على إدارته وماليته. وهو المسؤول الأول عن قيادة غزوه وتجميعه عند الطلب أو عند إعلان النفير العام. ومن هنا فإن الأمير يتمتع بسلطات واسعة في إقليمه(٤)، ومع هذه السلطات الواسعة الممنوحة لأمراء الأقاليم إلا أن شخصيتهم القيادية والاعتبارية تظل في مستوى أقل بكثير من مستوى الإمام أو ولي العهد.

ومهما يكن من نفوذ هؤلاء الأمراء (حكام الأقاليم) إلا أن هذا لم يعصمهم عن العزل(٥) أو النقل أو السجن أو المحاكمة أو النفي.. الخ، وفي حال مخالفتهم لنظم الدولة أو إذا ثبت تلاعبهم وغشهم في عملية جمع الزكاة. وإن فرض مثل هذه العقوبات على الأفراد وتطبيقها يعد دلالة واضحة على مدى ما يتحلى به الإمام من سلطات قوية.

والأمير في إقليمه هو المسؤول العام عن الإقليم. والمسؤول الأول عن تجهيز

(٤) انظر: عرض حكومة المملكة العربية السعودية، مجلد ١، ص٤٧٠، القاهرة: ١٩٥٥م.
(٥) مؤرخ مجهول، لمع الشهاب، ص٥١، تحقيق د. أحمد أبو حاكمة، بيروت: ١٩٦٧م.

الغزو. والمسؤول عن جمع الزكاة والأعشار والجهادية . وهو المسؤول عن توزيع ما يرسله الإمام من عطايا إلى إقليمه .

وإلى جانب أمير الإقليم فإن هناك قاضي الشرع الذي يقوم بفصل الخصومات بين المتنازعين ويشرف على تطبيق أحكام الدين في المنطقة ، إضافة إلى الأمور الأخرى التي تهم الجانب الديني في الإقليم . وللقضاء كلمة مسموعة عند الحكام والناس[٦] .

وهناك أيضاً عمال الزكاة ووظيفتهم جمع الزكاة من السكان طبقاً لأحكام الشرع الإسلامي . وبعد عملية جمع الزكاة يقوم أمير الإقليم بإرسالها إلى بيت المال في العاصمة .

الشـــــورى

كان الإمامان محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز يستشيران الإمام الشيخ محمد بن عبـدالوهاب في كل أمور الدولة بخاصة القضايا الدينية منها . إلى جانب هذا فكان الإمامان يستشيران العلماء وأصحاب الرأي في البلاد بخاصة أولئك الذين يقيمون في الدرعية .

وقد تطور أمر الشورى في عهد الإمام سعود الكبير. فكان الإمام سعود يستشير العلماء والأمـراء وشيوخ القبـائل وأصحاب الرأي في البلاد وعند الحرب كان الإمام يشكل مجلس شورى الحرب من القادة ومن رؤساء القبائل وأصحاب الخبرة العسكرية .

وتنقسم الشورى إلى : شورى خاصة وأخرى عامة . فالشورى الخاصة تضم عدداً من الأفراد والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة السعودية وتجتمع هذه النخبة في العاصمة عندما يأمر الإمام باجتماعها[٧] . ويكون لها دور كبير في حالات

(٦) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٣٩ ، القاهرة : ١٩٥٥م .
(٧) ابن بشر ، جـ١ ، ص١٦٨ .

الحرب أو عند تعيين ولي العهد أخذاً بمبدأ الشورى[٨]. والشورى العامة فكانت تعقد على شكل اجتماعات عامة وفي مناسبات معينة، كدراسة بعض المشكلات المتعلقة بالأقاليم أو في حالة حدوث فتور أو تمرد قامت به بعض المناطق في الدولة. وأن هذا النوع من الإجتماعات العامة كانت خير وسيلة لتدارس وجهات النظر المختلفة في شأن الموضوعات المطروحة.

ثانياً : النظام الحربي :

لم يكن للدولة السعودية الأولى جيش منظم بالمفهوم الذي نعرفه عن الجيوش المنظمة المتخصصة للشؤون الحربية، وإنما كان لها جيش جهاد ينعقد لواؤه عندما يأمر الإمام بذلك ويعلن النفير. وكانت تعبئة جيش الجهاد تتم على الطريقة الآتية :

أولاً : كان الإمام يرسل حواويشاً إلى البوادي يحوشون رجالها للغزو، ويجتمعون في مكان يعينه لهم الإمام ويكون عادة قرب ماء معروف لدى الجميع[٩].

ثانياً: كان الإمام يرسل أوامره إلى الأقاليم والمناطق يأمرهم بجمع غزوهم والتوجه إلى مكان معلوم يعينه لهم[١٠].

ثالثاً : كان الإمام يغادر الدرعية إما يوم الخميس أو يوم الإثنين متوجهاً إلى مكان تجمع الغزو[١١].

رابعاً: كان يحضر الغزو معه طعامه وزاده وعتاده ورحائله وخيوله من الجياد والنجائب العمانيات[١٢]. . الخ.

(٨) محمد عبدالله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، مجلد ١، ص ٣٢٦، القاهرة ١٩٥١م.

(٩) ابن بشر، جـ١، ص ١٦٨.

(١٠) ابن بشر، جـ ١، ص ١٦٩.

(١١) ابن بشر، جـ١، ص ١٦٩.

(١٢) ابن بشر، ج ١، ص١٦٩.

يقول المؤرخ النجدي عثمان بن بشر عن هذا الموضوع ما يلي[١٣]:

كان الإمام يرسل «إلى جميع البوادي حواويش رجال يحوشونهم من أقطار الجزيرة العربية للغزو معه، وواعدهم يوماً معلوماً على ماء معلوم، فلا يتخلف أحد منهم عن ذلك اليوم ولا لذلك الموضع وواعداً أيضاً جميع المسلمين من أهل البلدان موضعاً معلوماً، فيسارع الجميع اليه قبله. ثم يركب من الدرعية إما يوم الخميس أو يوم الإثنين.. فإذا سار وجد جميع المسلمين مجتمعين على مواعدهم فيسير بجميع المسلمين الحاضر والباد وينزل في المنزل قبل غروب الشمس، ويرحل قبل شروقها ويقيل الهاجرة ولا يرحل حتى يصلي صلاتي الجمع الظهر والعصر. ويجتمع الناس للدرس عنده بين العشائين كل يوم إلا قليلاً. وعند كل ناحية من نواحي المسلمين. ورتب في كل ناحية إماماً يصلي بعد الإمام الأول الذي يصلي بالعامة، فيصلي الثاني بالذين يحفظون متاع أصحابهم ويطبخون لهم في صلاتهم وذلك لئلا يصلوا فرادى. فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه ثم عدا فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم...».

كان القتال يبدأ بعد صلاة الصبح. ويبدأ الأفراد قتالهم بالتكبير[١٤]. وكانت الحروب تعتمد على الشجاعة والكثرة[١٥] في العدد لأن فنون الحرب ونظمها التدريبية تكاد تكون معدومة لديهم، ولكنهم يجيدون الكر والفر وحرب السيف وقتال الصحراء وتحمل أهواله. إنهم يجيدون الحروب التقليدية في طرقها وأسلحتها. إنهم يحاربون بدافع ديني قوى.

كانت أسلحة مقاتلي الدولة لا تزيد عن كونها أسلحة بدائية تقليدية هي: البنادق التي تضرب بالفتيلة والسيوف والخناجر والسهام والرماح[١٦].

كان الإمام يوزع على جيش الجهاد الغنائم التي يحصل عليها الجيش بعد

(١٣) ابن بشر، ج ١، ص ١٦٨، ١٦٩.

(١٤) عثمان بن سند، مطالع السعود، ص ٣٣.

(١٥) إبراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدري، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، ص ٢١٣.

(١٦) Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, P. 322.

انتصاره. فكان الإمام يأخذ خمس الغنائم لبيت المال ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية وتوزع على الجند، فكانت حصة الفارس سهمان وحصة الراجل سهم واحد. وكانت القوات الغازية تظل في حالة النفير هذه حتى يصدر الإمام أمراً يأمرها بالانصراف إلى أوطانها.

وكانت هناك حاميات سعودية تدخل في عداد الجند الثابت في الوظيفة العسكرية، وظيفتها المحافظة على الأمن والنظام في البلدان، وكانت تستبدل كل عام(١٧). وكانت تتواجد في الدرعية والقطيف والهفوف والبريمي ومكة والمدينة والطائف بعد انضمام الحجاز إلى الدولة. هذا إلى جانب الحرس الخاص بالإمام وولي عهده والأمراء الآخرين(١٨).

ولم يكن للدولة السعودية الأولى سفن حربية تشكل أسطولاً حربياً للدولة بالرغم من أنها كانت تسيطر على أجزاء واسعة من منطقة الخليج العربي. وإنما كانت ـ عند الحاجة ـ تستعين بسفن الغوص التابعة للقبائل القاطنة في الساحل(١٩). والتي تعمل في صيد الأسماك واللؤلؤ.

وتأسيساً على نظام الجهادية أصبح بمقدور الدولة السعودية الأولى أن تجمع عدداً كبيراً من الرجال الذين يقومون بعملية الغزو والقتال ضد العدو. ويزداد هذا العدد ويقل بقدر اتساع رقعة الدولة وعدد أتباعها فكانت الدولة السعودية الأولى تضم أقاليم كثيرة وكانت حدودها مترامية الأطراف، شملت الكثير من أرض الجزيرة العربية: نجد والأحساء وعسير والحجاز وأجزاء من مناطق أخرى.

ثالثًا : النظـــام القضـــائي

قامت الدولة السعودية الأولى على أساس ديني وتسير وفقاً لأحكام القرآن والسنة

(١٧) محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، ص ٩٦.
(١٨) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٩.
(١٩) د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج، ص ١١٠.

واجتهادات السلف. ومن هنا فإن منصب القاضي من المناصب الحساسة والمهمة في المنطقة لأنها على احتكاك مباشر بالناس ومصالحهم الشخصية والعامة.

ويشترط على من يتولى منصب القاضي أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة في ممارسة العلوم الشرعية كي يستطيع الفصل في المنازعات والشكاوى والقضايا التي تعرض عليه في منطقة عمله. وعليه أن يتصف بالنزاهة، لا يفرق بين قوى وضعيف وبين رفيع ووضيع وبين غنى وفقير.

وكان الإمام عبدالعزيز بن محمد هو أول من عين قضاة في أقاليم الدولة السعودية. وكان اختياره للقضاة يركز على أقدرهم وأشهرهم في ممارسة القضاء وأعدلهم في الحكم والفصل في القضايا. وكانت تصرف للقضاة رواتب سنوية من بيت المال.

كانت الدولة السعودية الأولى تنفذ أحكام الشرع في عقوبة الجرائم والمخالفات. وكان القاضي يأخذ بالمذهب الذي يراه أقرب إلى الصواب، وإن خالف ذلك مذهب الإمام أحمد بن حنبل. وكان لهذا الإجراء التطبيقي أثر كبير في تفاوت الأحكام في الحالات المتشابهة والمتقاربة[٢٠].

وبفضل تطبيق أحكام الشرع على المجرمين والمخالفين في كل مناطق الدولة، وعدم التساهل في موضوع الأمن كضرورة ملحة للمصلحة العامة، أدى هذا إلى أمن وسلام عم ربوع أقاليم الدولة، وساد شعور عام لدى الناس أن تنفيذ العقاب أمر لا تهاون فيه، ومن هنا قلّت نسبة الجرائم والمخالفات، مما ساعد على استتباب الأمن والنظام.

وقد وزعت الدولة القضاة على جميع الأقاليم. والقاضي يأتي في الدرجة الأولى من حيث الرتبة بعد أمير الإقليم. ومنصب القاضي ومركزه يكاد يكون ثابتاً، وكثير من القضاة خدموا الدولة مدة حياتهم، ويعود ذلك لأن منصب القاضي منصب ديني، وأن

---

(٢٠) د. صلاح العقاد، حركات لإصلاح السلفى، المجلة التاريخية المصرية، جـ٧، ص٩٢.

مثل هذا المنصب يختلف تماماً عن المناصب السياسية والإدارية التي تتأثر عادة بالتغييرات السياسية والإدارية. ويزيد في تركيز القاضي عدله وقوة شخصيته وجرأته في تنفيذ أحكام الشرع وبعده عن الشبهات والأمور الضارة بمنصبه.

رابعاً: النظام المالي:

كان للدولة السعودية بيت مال موارده من الزكاة: زكاة الزروع والثمار ومقدارها عشرة في المائة. وزكاة النقدين: الذهب والفضة وهي ربع العشر أو ٢,٥٪. وزكاة السائمة من البقر والأغنام والإبل كل منها ما عليه من زكاة. وزكاة عروض التجارة ومقدار زكاتها ربع العشر أو ٢,٥٪.

يقول ابن بشر في صدد الزكاة التي كانت تأخذها الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ما يلي[٢١].

«وأما عماله الذين يبعثهم لقبض زكاة الإبل والغنم من بوادي جزيرة العرب مما وراء الحرمين الشريفين وعُمان واليمن والعراق والشام وما بين ذلك من بوادي نجد. فذكر لي بعض خواص سعود ممن قد صار كاتباً عنده، قال: كان يبعث إلى تلك البوادي بضعاً وسبعين عاملة كل عاملة سبعة رجال، وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها إبل الزكاة والغنم، وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة لأوامرهم وجمع الإبل والأغنام المقبوضة في الزكاة وغير ذلك. وتلك من غير عمال نواحي البلدان من الحضر لخرص الثمار وعمال زكاة العروض والأثمان وغير ذلك. وأخبرني ذلك الرجل أن سعوداً بعث عماله لبوادي الغز المعروفين في ناحية مصر. وبعث عماله أيضاً لبوادي يام في نجران وقبضوا من الجميع الزكاة، قال: وأتوا عُمال آل فدعان المعروفين من بوادي عنزة بزكاتهم بلغت أربعين ألف ريال من غير خرج العمال وثمان أفراس من الخيل الجياد.. والذي يأخذ سعود على بندر اللحية المعروفة في اليمن مائة وخمسون ريال وهو لا يأخذ إلا ربع العشر. ومن بندر الحديدة نحو ذلك، ويأتي من بوادي عنزة أهل خيبر شيء كثير. قال: والذي يحصل من بيت مال الأحساء يقسم ثلاثاً، ثلث

(٢١) ابن بشر، جـ ١، ١٧٥.

يدخره لثغوره وخراجاً لأهلها والمرابطة فيه، وثلث خراجاً لخيالته ورجالته ونوابه وما يخرجه لقصره وبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ وغيرهم في الدرعية، وثلث يباع بدراهم وتكون عند عياله العطاياه وولاته. قال: ويحصل بعد ذلك ثمانون ألف ريال تظهر للدرعية. قلت وأما غير ذلك مما يجبى إلى الدرعية من الأموال من القطيف والبحرين وعُمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك. وزكاة ثمار نجد وعروضها وأثمانها لا يستطيع أحد عده ولا يبلغه حصره ولا حده وما ينقل إليها من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك».

ويذكر بوكهارت أن زكاة الدولة السعودية الأولى كانت تصل إلى حوالي مليوني ريال. وقد أورد بوكهارت ذلك نقلاً عن بعض أهالي مدينة مكة المكرمة[٢٢]. ويتفق ما رواه بوكهارت مع ما ذكره صاحب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب في أن زكاة الدولة السعودية الأولى وصلت إلى أكثر من مليوني ريال[٢٣].

ومن موارد بيت المال ما كان يصله من خمس الغنائم وهي تشكل نسبة كبيرة من نسب واردات بيت مال الدولة السعودية الأولى. وتأتي نسبة خمس الغنائم في الدرجة اللاحقة بالنسبة للزكاة. والجدير بالذكر أن خمس الغنائم كانت تصل من كل أقاليم الدولة التي تقوم فيها غزوات ترتب عليها وجود غنائم، كثرة هذه الغنائم أو قلت، فكان على أمير الإقليم أن يجمع خمسها ويرسله إلى الدرعية ليوضع في بيت المال. ونستطيع أن نتعرف على أهمية هذا المورد عندما نجد حجم الغزوات في ازدياد، ومن الواضح أن حجم هذا المورد يزداد ويقل تبعاً لزيادة الغزوات وقلتها. وما أكثر الغزوات في فترة الدولة السعودية الأولى.

مصروفات الدولة من بيت المال

كانت الدولة السعودية تقوم بصرف أموال بيت مالها على الأوجه الآتية:

* كانت الدولة تدفع من بيت مالها لمن لهم حق في الزكاة. فكانت توزع هذا

(٢٢) Burkhardt, P. 310 .

(٢٣) لمع الشهاب، تحقيق أحمد أبو حاكمة، ص ١٧٠ .

الحق على أهله من الفقراء والمساكين كل قدر نصيبه وحاجته .

* كانت الدولة تخصص مبلغاً من المال ليصرف على أبناء السبيل، فتقدم لهم الطعام والإقامة وبعض الأموال اللازمة لسفرهم إلى بلادهم . وقد عممت الدولة ذلك في كل أقاليمها . وقد خصصت مبلغاً من المال لكل إقليم ليصرف على هذا المجال . وكان الأمراء في الأقاليم يقومون بصرف هذا المبلغ على أبناء السبيل في أقاليمهم .

* كانت الدولة تخصص مبالغ من بيت المال لبناء المساجد ولتصرف على حلقات التدريس فيها . وعلى علمائها وطلابها ، وعلى الأئمة والمؤذنين .

* كانت الدولة تدفع من بيت المال أجور العمال الذين يقومون بجباية الزكاة . وكانت تدفع رواتب القضاة وأمراء المناطق وجنود الحاميات السعودية في المناطق الذين يؤدون مهمة الأمن والحراسة(٢٤) والحسبة ، هذا إلى جانب مخصصات الأمراء الذين يقودون الجيوش في القتال ويشاركون في إدارة شئون الدولة وأعمالها .

* خصصت الدولة مبلغاً لمصروفات الضيافة(٢٥) ولمساعدة الجماعة المتضررة من جراء النكبات والكوارث التي تحل بالبلاد والتي تؤثر على السكان . كما وخصصت الدولة مبلغاً من المال لسد حاجات بعض الأقاليم التي لا تكفي واردات بيت مالها مصروفات الأقليم واحتياجاته . إضافة إلى هذا كله فقد خصصت الدولة مبلغاً من المال للمشروعات الاجتماعية والصدقات(٢٦) .

---

(٢٤) لمع الشهاب، ص ٥٠ ، تحقيق د. أحمد أبو حاكمة .
(٢٥) ابن بشر، جـ١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢٦) ابن بشر، جـ١ ، ص ١٧٣ .

الفصل السادس

علاقات الدولة الخارجية

- علاقة الدولة ببريطانيا.
- علاقة الدولة بفرنسا.
- علاقة الدولة بدولة العجم.

الفصل السادس

علاقات الدولة الخارجية

كان لابد من قيام اتصالات أو احتكاكات بين الدولة السعودية الأولى وبين الدول الكبرى في منطقة الخليج العربي.

وقد لعبت العلاقة القائمة بين الدولة السعودية الأولى وبين القوى المحلية في الخليج، بخاصة تلك القوى المعارضة للدولة السعودية دوراً بارزاً في حدوث مثل هذه الاتصالات، أعني الاتصالات بين الدولة السعودية وبين الدول الكبرى في المنطقة، عندما قامت بعض القوى المحلية في الخليج بالاستنجاد ببريطانيا وطلب المساعدة منها ضد الدولة السعودية من جهة أو الاستعانة بالدول الكبرى الأخرى لتكون عوناً ودعماً لها ضد الدولة المذكورة. وقد حدث ذلك حين طلبت سلطنة مسقط من بريطانيا دعمها ضد الغزو السعودي، وفي بعض المناسبات كانت تطلب العون من فرنسا[1] وأحياناً كانت تطلب العون من دولة العجم. وكما كانت البحرين أحياناً تطلب العون من دولة العجم ضد الدولة السعودية[2].

وقد ساهم حدة الصراع القائم بين بريطانيا وفرنسا في الشرق بخاصة في عهد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية في حدوث مثل هذه الاتصالات بين الدولة السعودية وبين كل من بريطانية وفرنسا لأن كلاً من الدولتين الأجنبيتين كانت ترى

---

(١) انظر: د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٦٦، القاهرة ١٩٦٥م.
د. جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد، ص ١٠٧، القاهرة ١٩٦٨م.

Bombay Government, Selections from the Records, Vol. XXIV p. 433.

(٢) ارجع إلى: مقال للدكتور جمال زكريا، عنوانه: رحمة بن جابر الجلاهمة، حولية كلية آداب عين شمس، ١٩٦٤م.

ضرورة الاتصال بالقوى المحلية ذات التأثير في أحداث الخليج. وقد ساهم التشابك المذهبي في منطقة الخليج وما كان له من سلبيات في إيجاد نوع من العلاقة بين الدولة السعودية وبين دولة العجم. وهكذا نلاحظ أن هناك مجموعة عوامل تضافرت في إيجاد الاتصالات بين الدول الكبرى في منطقة الخليج وبين الدولة السعودية الأولى.

العلاقـة بين الدولة السـعودية
وبـين بريطـانيا

من الواضح تماماً أن العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبين بريطانية لم تصل إلى حد مفهوم العلاقات الخارجية بين الدول، تلك العلاقات ذات المفهوم الدبلوماسي المعروف، وإنما كانت عبارة عن اتصالات بسيطة أجريت بين الدولتين في مناسبات معينة وظروف اقتضتها.

كانت هنـاك ثمـة أحداث في المنطقة أدت إلى ظروف الاتصال بين بريطانية والـدولـة السعودية الأولى، كالتحـالف القائم بين السعوديين وبين القواسم الذين أصبحوا في عداء تقليدي مع كل من حكام مسقط ومع بريطانية. وكان هذا الأسلوب العدائي بين القواسم وبين مسقط وبريطانيا قد جر الدولة السعودية الأولى إلى خلافات مع بريطانية التي تدعم الموقف العماني وتعادي القواسم وحلفاءهم السعوديين، بالرغم من أن بريطانيا كانت لا ترغب في التورط في العـداء مع السعوديين لأن ذلك ـ في نظرها ـ يجرها إلى صراع طويل معهم. ولأن هذا يجرها إلى التورط في الشؤون الداخلية للقـوى المحلية في داخـل الجزيرة العربية. ونحن نعرف أن بريطانيا دولة استعمارية تتصرف من خلال مصـالحها الاستعمارية في المنطقة تلك المصالح المتركزة في مناطق الساحل لا في المناطق الداخلية من الجزيرة العربية.

وقـد زاد اقتناع بريطانيا بضرورة إتخاذ موقف أكثر ملاينة تجاه الدولة السعودية الأولى عندما شعرت بأن مصالحها الإستراتيجية في الكويت وجنوب العراق أصبحت معرضة للتأثير السعودي وضغطه بخاصة بعد وصول الحملات السعودية إلى تلك المناطق وبعد نقل المراكز التجارية البريطانية التابعة لشركة الهند الشرقية من البصرة إلى الكويت.

لقد جامل رجال شركة الهند الشرقية البريطانية المسؤولين السعوديين حين قدموا لهم الهدايا وتقربوا منهم[٣] حفاظاً على سلامة سير بريد الشركة الصحراوى المار في المناطق الشمالية الشرقية من حدود الدولة السعودية الأولى. وقد زاد من الاهتمام البريطاني في عملية التقرب من الدولة السعودية ما حدث بينهم وبين الدولة العثمانية من خلافات بخاصة مع المسؤولين العثمانيين في البصرة.

أرسلت بريطانيا رينود «Reinaud» أحد مساعدى الوكيل البريطاني ما ينسني عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م إلى الدرعية كرئيس للبعثة البريطانية الرسمية إلى العاصمة السعودية لاجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين حول إيجاد نوع من العلاقات الودية وحسن المعاملة بين الدولتين بعدما انتاب هذه العلاقات جو من الخلافات كان مرده يعود إلى اشتراك عدد من حراس الوكالة البريطانية في الكويت مع القوات الكويتية في رد هجوم سعودي ضد الكويت[٤].

ولم يكن موقف بريطانيا هذا هو الموقف الوحيد المعادي للدولة السعودية، وإنما كانت هناك مواقف بريطانية مماثلة. فكانت بريطانيا تساند موقف مسقط وموقف البحرين ضد السعوديين في عدة مناسبات. أضف إلى هذا كله موقفها العدائي ضد القواسم حلفاء الدولة السعودية في منطقة ساحل عُمان.

رحل رينود من الكويت إلى الدرعية ماراً بالقطيف والهفوف. وقد استقبل في الدرعية استقبالاً حسناً من قبل السعوديين[٥]. وأجرى رينود محادثات مستفيضة مع الإمام عبدالعزيز بن محمد وأعضاء حكومته، تركزت في جلها على تأمين سلامة بريد الشركة الذي يمر من البصرة إلى حلب عَبر الطريق الصحراوي التي تقطنه قبائل سعودية.

---

(٣) انظر: Brydges, A breif History of the Wahaby, Vol. 2., 2, pp. 12-16

(٤) Brydges, op. cit, Vol. 2, pp 12-13 .

(٥) انظر: د. عبدالحميد البطريق، ابراهيم باشا في بلاد العرب، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، ص ٢٤، القاهرة ١٩٤٨م.

ويبدو أن بعثة رينود لم تحقق نجاحاً ملموساً في هذا الصدد بالرغم من الحفاوة التي قوبل بها رئيس هذه البعثة في الدرعية كواجب تقتضيه أصول الضيافة العربية إلا أن هذا الموقف يختلف كثيراً عن الموقف السياسي الذي جاء من أجله رينود. وكانت الحساسية التي تتميز بها الدولة السعودية الأولى ضد الأجانب النصارى كفيلة لأن تفشل مهمة البعثة البريطانية. كما أن موضوع الدبلوماسية بين الدولة السعودية الأولى وبين الدولة الأجنبية النصرانية لم يكن مفتوحاً بل كانت الدولة السعودية تحاول تجنبه قدر المستطاع، وهذا أمر يفرضه عليها الموقف الداخلي من جهة والبنية السياسية والدينية التي قامت عليها الدولة السعودية من جهة ثانية. ومما يفسر صحة هذا الاتجاه هو أن الجانب البريطاني كان دائماً هو البادىء في قيام عملية الإتصالات مع الجانب السعودي. وقد عبرت بعثة رينود عن هذا الأمر. وكان الجانب البريطاني هو البادىء أيضاً في قيام نوع من المراسلات بين الدولتين. وقد عبرت عن ذلك الرسائل التي كانت يرسلها المعتمد البريطاني في بوشهر إلى الإمام السعودي في الدرعية بمناسبة حدوث أمور طارئة في العلاقات بين الدولتين. وقد تمثل هذا النمط من المعاملة في الرسالة التي أرسلها المعتمد البريطاني في الخليج إلى المسؤولين في الدرعية بعد اشتراك بريطانيا إلى جانب حاكم مسقط ضد القواسم في الساحل العماني، حيث أشارت الرسالة إلى أن الموقف البريطاني كان إلى جانب حاكم مسقط ضد القواسم لأن القواسم نقضوا شروط معاهدة عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. ومن هنا فإن بريطانيا تحمل مسؤولية تدهور الموقف إلى القواسم، ومن هنا كان على حلفائهم السعوديين أن لا يظهروا استياءهم تجاه ما قامت به بريطانية ومسقط من عمل حربي ضدهم(٦). كما وأن على السعوديين أن لا يؤازروهم لأنهم هم الذين نقضوا شروط الإتفاق المبرم بينهم وبين بريطانيا.

ويبدو لنا أن بريطانية كانت تتخذ مثل هذه الاجراءات اللينة تجاه الدولة السعودية الأولى لعدة اعتبارات من أهمها:

- أن بريطانيا كانت تتخذ مثل هذه المواقف اللينة بعد أن تكون قد نفذت هدفها وضربت ضربتها وعندئذ لا داعي للموقف المتشدد أو الموقف العنيف.

(٦) انظر: Selection from the Records of Bombay Government, Vol. 24, p. 433 .

- إن بريطانيا كانت مقتنعة بأن الدولة السعودية الأولى تشكل قوة محلية مؤثرة في الخليج ، ومن هنا لابد من التعامل معها بشكل لا يغضبها .
- إن بريطانيا كانت تهدف من وراء موقفها هذا أن تبعد الدولة السعودية عن مراكز نفوذها في المنطقة .
- إن بريطانيا كانت تحاول أن تجعل نفسها قوة محايدة في المنطقة ، ومن هنا فإن بإمكانها أن تلعب دور الوسيط في النزاع بين القوى المحلية في المنطقة ، مقتنعة أن مثل هذا الموقف سيكون له إيجابياته الكثيرة على مصالحها في الخليج .

ونلاحظ أن بريطانية كانت تفضل أن تكون علاقتها بالدولة السعودية في فترة الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري / السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي ، علاقة ود وسلام ، بالرغم من أنها تساعد خفية وأحياناً بشكل علني القوى المحلية الخليجية المعادية للدولة السعودية الأولى .

ويلاحظ أن بريطانية كان لا يهمها إلا أن ترى بريدها الصحراوي يمر بسلام عَبر الحدود الشمالية للدولة السعودية من جهة وأن يتوقف القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية في الخليج من جهة ثانية وأن تبقى مراكز نفوذها في المنطقة بعيدة عن الصراعات المحلية لأن مثل هذه الصراعات تعرقل استراتيجيتها من جهة ثالثة .

ولابد من الإشارة هنا إلى أن القواسم كانوا ينظرون إلى بريطانيا نظرة الدولة الإستعمارية النصرانية ذات النفوذ في الخليج ، وهي تحاول جادة ضرب القوى المحلية الوطنية المعادية لها . ومن هنا فإن هجوم القواسم على السفن البريطانية في الخليج ماهو إلا حركة وطنية محلية ذات صبغة دينية ضد القوى الإستعمارية النصرانية في المنطقة .

فالقواسم يقومون بدور الجهاد الوطني ضد بريطانية ذات السلطة المتعالية في المنطقة ، وذات النفوذ الواسع الذي يمتد في مساوئه لا للجانب السياسي فحسب وإنما يمتد أيضاً ليكون أداة تطويع للمعادين للوجود البريطانيّ في المنطقة وليكون الوصي القوي على معظم الوحدات السياسية المحلية هناك ، وليكون كذلك أداة إفساد لجو الإخاء والاتحاد والوحدة بين القوى المحلية ذات الأصول الواحدة واللغة الواحدة

والدين الواحد والآمال الواحدة والمصائب الواحدة. فدور القواسم كان دوراً وطنياً معبراً عن ردة الفعل ضد الوجود الإستعماري في بلادهم ومناطقهم.

ومع هذا كله فقد عدّت بريطانيا جهاد القواسم ضرباً من ضروب القرصنة لا لشيء وإنما لأنهم أرادوا أن تكون بلادهم لسكانها الوطنيين لا مرتعاً للدول الإستعمارية التي تنهب خيراتها وتسيطر على مقدراتها وتبذر بين سكانها بذور الخلاف والشقاق. ومن هنا كان موقف العلاقات بين الدولتين موقفاً غامضاً لأن كل دولة منهما كانت تتفاعل مع الأخرى بحذر ومن منطق عدم الإقتناع. ومن هنا لم يكن الموقف البريطاني تجاه الدولة السعودية موقفاً يدل على حسن النية، وإنما كانت بريطانيا توجه علاقتها بالدولة السعودية على ضوء متطلبات الأمور والمصالح. وأن بإمكان المرء أن يجزم بأن موقف بريطانيا من الدولة السعودية كان دائماً يتسم بالخبث والكراهية. وكانت بريطانيا لا ترغب مطلقاً أن ترى دولة قوية محلية تجاورها في الخليج لأن ذلك يشكل مصدر إزعاج لها.

وقد اتضح الموقف البريطاني من الدولة السعودية الأولى بعد سقوط الدرعية حين أرسلت بريطانيا سادلر إلى الدرعية ليهنىء إبراهيم باشا على انتصاره على الدولة السعودية الأولى. ويتضح هذا الموقف من خلال ما قاله المسؤولون البريطانيون عن الدولة السعودية وما ألصقوا بها من اتهامات وصفات جارحة[٧].

علاقة الدولة السعودية الأولى بفرنسا

لم تكن هناك علاقة واضحة بين الدولة السعودية الأولى وبين فرنسا في بداية عهد

---

(٧) انظر: - Sadlier, G.F., Diary of a Journey across Arabia from El-Katif in the Persian Gulf to Yambo in the Red Sea, during the year (Bombay 1866).

- Selections from the Records of Bombay Government, vol. 24, p. 43.

- للدراسة التفصيلات ارجع الى:

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط ٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة ١٩٧٩م.

الثورة الفرنسية. وقد بدأت ملامح العلاقة في الظهور بعد حملة نابليون على الشرق كجزء من الصراع الفرنسي الإنجليزي فيه.

حاول نابليون أن يخطب ود حكام الشرق ليستفيد منهم في دعم موقف فرنسا ضد منافستها بريطانية. ومع أن هذه المحاولة لم تكن محاولة جادة وقوية في هذه المرحلة بالذات إلا أنها كانت فاتحة تطلع فرنسي تجاه القوى المحلية في الجزيرة العربية بخاصة تلك القوى المتواجدة في الخليج وذات التأثير فيه.

وزاد اهتمام فرنسا بالخليج في فترة الحروب النابليونية، وصارت فرنسا تحاول جادة الاتصال بالقوى المحلية في المنطقة من بينها الدولة السعودية الأولى. ومن هنا كلفت فرنسا بعثة جردان للقيام بنشاط كبير في مناطق العجم والخليج والمناطق ذات الأهمية في الشرق والموصلة إلى الهند لضرب خط المواصلات الإمبراطورية في الشرق. وتفيد المصادر أن الفرنسيين بذلوا جهداً كبيراً للوقوف في وجه المنافسة البريطانية، ومع هذا فلم يكن بمقدورهم أن يفعلوا شيئاً ضدهم، ومن هنا كانت كل محاولاتهم قد باءت بالفشل[٨].

وتشير بعض المصادر أن بعثة فرنسية برئاسة دى لاسكارس «De Lascars» كانت قد وصلت إلى الدرعية في عهد الإمام سعود الكبير عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م وتباحث معه حول قيام علاقات بين الدولة السعودية وبين فرنسا. وتشير المصادر أن البعثة طلبت من الإمام السعودي أن يساند الموقف الفرنسي ضد الدولة العثمانية كي يتمكن نابليون/ من الوصول إلى مناطق الشرق لضرب النفوذ الإنجليزي في مستعمراته الشرقية بخاصة النفوذ البريطاني في الهند. وبالمقابل فإن الإمام السعودي يصبح بإمكانه غزو ولاية الشام العثمانية. إلا أن بريطانيا كانت تراقب الموقف عن كثب، فأرسلت بعثة إلى الإمام السعودي تنصحه بعدم الإتفاق مع فرنسا مقابل أن تضمن له إعتراف السلطان العثماني بالحكم السعودي. وتفيد المصادر أن الإتفاق السعودي الفرنسي انتهى بفشل نابليون في حروبه في الجهة الروسية[٩].

(٨) دكتور صلاح العقاد، التيارات السياسية، ص ٩١، ٩٢.

(٩) Jacques Benoist Mechin, Arabian Destiny PP. 51-52 (London 1947).

ومن الواضح أن الواقع التاريخي لا يؤيد صحة هذا القول، لأنه لو أن مثل هذه البعثة كانت قد وصلت إلى الدرعية، لكان بإمكاننا أن نجد ذكراً لها في الكتب المعاصرة للأحداث، محلية أو غير محلية أو أجنبية بخاصة في المنشورات الرسمية البريطانية. ولهذا فإن مثل هذه المعلومات تبقى مجرد أخبار مشكوك في صحتها. حتى أن الكاتب الفرنسي جاك بيربي يشك في قيام مثل هذه البعثة(١٠).

ومن هنا فإن العلاقات السعودية الفرنسية لم تكن من الوضوح بالقدر الذي وصلت إليه العلاقات السعودية البريطانية ويعود ذلك إلى ضعف النفوذ الفرنسي في الخليج من جهة وفي الشرق من جهة أخرى. أضف إلى هذا كله فإن قوة فرنسا وعظمتها كدولة أوروبية وكدولة إستعمارية كانت قد تضررت بشكل حاسم بعد سقوط نابليون وعودة فرنسا كدولة ضعيفة إذا ما قورنت بالنسبة لدولة بريطانية العظمى التي ازدادت قوة بعد السقوط النابليوني.

علاقة الدولة السعودية
بدولة العجم

لم تكن علاقة الدولة السعودية الأولى بدولة العجم علاقة حسنة. وقد ازدادت هذه العلاقة سوءاً بعد غزو الدولة السعودية الأولى لمناطق جنوب العراق ككربلاء والنجف عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م.

وبعد هذا الغزو تحرك الشعور الإيراني تجاه الدولة السعودية وقرر شاه العجم أن يتدخل وأبدى استعداده لغزو السعوديين وأخبر بذلك الوالي العثماني في العراق، وهدد بغزو العراق إذا لم تجب الدولة العثمانية لمطلبه وهو الإنتقام من الدولة السعودية عن طريق إرسال حملة عسكرية عثمانية قوية من العراق ضدهم(١١).

وكرد فعل إيراني تجاه الدولة السعودية الأولى فقد ساعد شاه إيران حاكم مسقط

(١٠) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المرجع السابق، ص ٢٨٨، ٢٨٩.
(١١) ارجع إلى: Admyiat, F., Bahrein Island, p. 37 (New York 1955).

ضد آل خليفة في البحرين الذين كان يدعمهم آل سعود عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. واستمرت دولة العجم في تقديم المساعدات العسكرية لحاكم مسقط ضد آل سعود[١٢].

وساءت العلاقة بين الدولة السعودية وبين دولة الفرس عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م عندما استعان آل خليفة بالفرس وحكام مسقط في استرداد البحرين من القوات السعودية. يقول ابن بشر في هذا الصدد ما يلي[١٣]:

«وفيها (سنة ١٢٢٥هـ) تحقيق عند سعود (الكبير) أن آل خليفة أهل البحرين والزبارة يقع منهم بعض المخالفات، فخاف أن يقع أكبر من ذلك فأرسل إليهم جيشاً واستعمل عليهم أميراً محمد بن معيقل ثم اتبعه بعبدالله بن عفيصان. فاجتمعوا ونزلوا عن الزبارة المعروفة عند البحرين فأقاموا فيها قريب أربعة أشهر، حتى رجع سعود من الحج. فلما رجع من الحج أرسل أمراء ذلك الجيش إلى آل خليفة وأمرهم يفدون على سعود وساقوهم كرهاً والفوا عليه في الدرعية . . .».

ويتابع ابن بشر كلامه بما يلي[١٤]:

« . . . ثم أن (سعوداً) أمر فهد بن سليمان بن عفيصان أن يعبر إلى البحرين ضابطاً له وجعله بيت مال. ثم أن أبناء آل خليفة نقلوا أكثر نسائهم وأموالهم في السفن ثم هربوا من الزبارة وقصدوا صاحب مسكة سعيد بن سلطان، فاستنصروه وأرسلوا إلى العجم وبني عتبة واستصرخوهم. وكان مراكب النصارى عند سعيد في مكة فاستعانوهم فأقبل جموع عظيمة في مراكب كثيرة وبندروا عند الزبارة في الليل. فاظهروا منها بقية رجالهم وما فيها من المتاع ودمروها جملة. ثم ساروا إلى البحرين ونازلوا فهد بن عفيصان والمرابطة الذين في قصر المنافة وهم نحو ثلاثمائة رجل فحصروهم وأقاموا على ذلك أياماً ثم أخرجوهم بالأمان على دمائهم: فأمسكوا منهم فهد بن عفيصان وأمسكوا

(١٢) انظر ذلك في: Bombay Government Selections from the Records, Vol. 24, p: 430.

(١٣) ابن بشر، جـ١، ص ١٤٩.

(١٤) ابن بشر، جـ١، ص ١٥٠.

معه ست عشر رجلاً واعتقلوهم . . . ».

ونلاحظ أن الخلاف القائم بين السعودية وبين دولة العجم كان قد استغله حكام مسقط وغيرهم في مناطق الخليج . فقد أدى هذا الخلاف إلى قيام نوع من الوفاق بين حكام مسقط وبين دولة الفرس، وقد عبرت البعثة الدبلوماسية التي أرسلها السيد سعيد ابن سلطان برئاسة السيد سالم إلى بلاط الشاه عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م عن هذا الوفاق، إذ كان هدفها إقامة معاهدة تحالف بين مسقط وبين فارس . وقد نجحت هذه البعثة من تحقيق هدفها وكان من ثمار ذلك أن ساعدت فارس حكومة مسقط بقوات عسكرية كانت بقيادة صادي خان حاربت إلى جانب قوات مسقط ضد السعوديين في عُمان[١٥]. وقد أورد ابن بشر ذكر المساعدة الفارسية لحكومة مسقط في أحداث سنة ١٢٢٥هـ. فيقول[١٦]: «وفي آخر شهر ذي الحجة من هذه السنة جمع صاحب مسكة سعيد بن سلطان جموعاً وعساكر كثيرة واستنصر العجم فأتاه منهم عسكر كثيف نحو ثلاثة آلاف مقاتل وساروا إلى عُمان وعاثوا فيما يليهم من رعايا المسلمين واستولوا على بلاد الجبرى وسمايل وهرب الجبرى منها. فسار مطلق المطيري بشوكة المسلمين الذين معه في عُمان من أهل عُمان ونجد وغيرهم فجمع الله بينهم وبين عساكر صاحب مسكة وتنازلوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت جنود صاحب مسكة وركب المسلمون أكتافهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . . . ».

وتشير وثائق مختارات بومبي إلى أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أراد أن يحول دون وقوع مثل هذا الوفاق العماني الإيراني، فأرسل بعثة سعودية إلى بلاط شاه العجم من أجل إقامة علاقات ود بين الدولتين، الهدف منه تضييع الفرصة على حاكم مسقط[١٧]، إلا أن هذه البعثة لم توفق في مهمتها. وانحازت فارس إلى صف مسقط، بالرغم من

---

(١٥) انظر: Mourizi, Shaikh Mansour, History of Sayed Said, Sultan of Muscat together, With an account of the Countries and people of the shores of the Persion Gulf particulary of Wahabees, p. 81 (London 1819)

(١٦) ابن بشر، جـ ١، ص ١٥٦.

(١٧) Selections, vol. 24, p. IM8 .

الخلافات التي كانت تحدث بينهما بين الحين والآخر.

وكم سر شاه إيران من نجاح محمد علي في القضاء على الدولة السعودية الأولى، فأرسل إليه رسالة يهنئه فيها على جهوده. وقد أورد الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم نقلاً عن وثائق دار المحفوظات القومية بالقاهرة نص هذه الرسالة في كتابة الدولة السعودية الأولى، ص ٢٩٣، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، جاء فيها: «فاطلعت على ما صنعت في قتال العرب وصبرت في احتمال التعب، واجتهدت في تجهيز الكتايب وتشييد الغواضب، حتى وطبت أرجاء التهامة، بأقدام الشهامة، وخلصت أرض النجد، بالعز والمجد، وفتحت بأن الأمنية، بفتح الدرعية.. إلخ».

وقد أهدى الشاه عباس محمد علي باشا سيفاً قديماً كان قد توارثه ملوك العجم عن أجدادهم لأن عمل محمد علي في هذا المجال وعزمه يشبه حدة هذا السيف. وقد صحب هذا السيف هدية أخرى وهي خاتم من الفيروز[١٨].

وهكذا نلاحظ أن خط سير العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وبين دولة الفرس هو خط تقليدي بدأ مع بدء الاحتكاكات بين الدولة السعودية الأولى وبين مناطق جنوبي العراق العثماني. وقد توحدت جهود عدد من القوى المختلفة ضد الدولة السعودية، كقوة العثمانيين وتعاونهم - إلى حد ما - مع الفرس، وقوة حكام مسقط وتعاونهم مع الفرس، وقوة آل خليفة وتعاونهم مع الفرس.

إن مرد هذا الصراع التقليدي بين الدولة السعودية وبين دولة فارس يعود في حصيلته إلى الخلاف المذهبي بين الدولتين من جهة، وإلى العمق الذي وصلته الدولة السعودية الأولى في امتدادها في مناطق عُمان وساحله من جهة ثانية ثم إلى عمق اندفاع الغزو السعودي في مناطق جنوب العراق من جهة ثالثة. ومن هنا كانت فارس ترجيء خلافاتها مع القوى السياسية المحلية الخليجية وتركز على ضرب القوة السعودية، وكانت كذلك تحاول أن تنسى عداوتها مع العراق العثماني في سبيل تجميع القوى ضد الدولة السعودية.

(١٨) د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المرجع السابق، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

١ ـ إبراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدري، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد، طبع دار البصري (بدون).

٢ ـ أبومحمد بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعة المؤرخ محمد بن عبدالله بن بليهد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣م.

٣ ـ أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م.

٤ ـ أحمد قاسم البوريني، الإمارات السبع على الساحل الأخضر، بيروت، ١٩٥٧م.

٥ ـ أحمد مصطفى أبوحاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، الكويت، ١٩٦٧م.

٦ ـ أحمد مصطفى أبوحاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، طبع معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٧ ـ أمين سعيد، تاريخ المملكة العربية السعودية، بيروت، ١٩٦٤م.

٨ ـ أمين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي، بيروت، ١٩٦٥م.

٩ ـ أنستاس الكرملي، تسمية الكويت، مجلة المشرق البيروتيّة، العدد رقم (١٠) الصادر عام ١٩٠٤م.

١٠ ـ البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة (بدون).

١١ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مصوّرات انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بمناسبة انعقاد أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١٤٠٠/١٩٨٠م.

١٢ ـ الدكتور جمال زكريا قاسم، رحمة بن جابر الجلاهمة، حولية كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٣ ـ الدكتور جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٤ ـ حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٥٥م.
١٥ ـ الإمام الحربي، المناسك، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، نشر دار اليمامة (بدون).
١٦ ـ حسين خلف خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بيروت، ١٩٦٨م.
١٧ ـ حمد الجاسر، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
١٨ ـ حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٦٢م.
١٩ ـ راشد عبدالله الفرحان، مختصر تاريخ الكويت، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
٢٠ ـ رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، نقله عن التركيّة موسى كاظم نورس، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٢١ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، التوضيح عن توحيد الخلائق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبع القاهرة، ١٩٠١م/١٣١٩هـ.
٢٢ ـ الدكتور سيد نوفل، الأوضاع السياسيّة لإمارات الخليج العربي، طبع معهد الدراسات العربيّة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٣ ـ سيف مرزوق الشملان، من تاريخ الكويت، القاهرة ١٩٥٩م.
٢٤ ـ صلاح العقاد، حركات الإصلاح السلفي، المجلة التاريخيّة المصرية، الجزء السابع.
٢٥ ـ الدكتور صلاح العقاد، الاستعمار البريطاني في الخليج الفارسي، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٦ ـ عبدالله بن صالح المطوع، مخطوط عقود الجمان في أيام آل سعود في عُمان، محفوظ بمكتبة أرامكو بالظهران.
٢٧ ـ عبدالعزيز حسين، المجتمع العربي في الكويت، معهد الدراسات العربية، القاهرة، (بدون).
٢٨ ـ الدكتور عبدالحميد البطريق، إبراهيم باشا في بلاد العرب، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٩ ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٩٥٩م.
٣٠ ـ الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٩م.

٣١ ـ عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة، ١٣٢٢هـ.
٣٢ ـ عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥١م.
٣٣ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية، الدولة السعوديّة الثانية، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٤ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية، دراسة في أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣٥ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٦ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية، دراسة حول المخطوط التركي، حجاز سياحتنامه سي، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٣٧ ـ الدكتور عبدالفتاح حسن أبوعلية، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٨ ـ عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
٣٩ ـ محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
٤٠ ـ عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، طبعة وزارة المعارف السعوديّة (بدون).
٤١ ـ عمر رضا كحالة، جغرافيّة شبه جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٤٢ ـ عثمان بن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، اختصره أمين الحلواني بعنوان «مختصر مطالع السعود»، طبع بومباي، ١٣٠٤هـ.
٤٣ ـ عرض حكومة المملكة العربية السعودية في شأن النزاع حول واحات البريمي، نشر هذا العرض بالقاهرة عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٤٤ ـ فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مطبعة النصر، الرياض (بدون).
٤٥ ـ قدري قلعجي، الخليج العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
٤٦ ـ لوثرب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، ترجمة حجاج نويهض، القاهرة، ١٣٤٣هـ.
٤٧ ـ محمد شيبة بن نورالدين السالمي، نهضة الأعيان بحريّة أهل عُمان، دار الكاتب العربي بالقاهرة (بدون).

٤٨ ـ محمد عبدالله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٥١م.
٤٩ ـ محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانيّة في تاريخ الجزيرة العربية، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
٥٠ ـ محمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجديّة، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بدون).
٥١ ـ مؤرخ مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الدكتور أحمد أبوحاكمة، بيروت، ١٩٦٧م.
٥٢ ـ محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٥٣ ـ الدكتور محمود علي الداود، الخليج العربي والعلاقات الدولية، طبع معهد الدراسات العربيّة، ١٩٦٥م.

المصادر والمراجع الأجنبية

1. Adamyiat, F., Bahrein Island, (New York, 1955).
2. Admiralty and War Office, Handbook of Arabia (London, 1916).
3. Ali Bey, Travels of Ali Bey (London, 1816).
4. Anne Blunt, A pilgrimage to Nejd (London, 1881).
5. John H. Philby, Saudi Arabia (London, 1955).
6. Bombay Government, Selection of Treaties, Vol., XXIV.
7. Brydges, Sir Harford Jones, An account of his Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1807-1810 to which is appended; A brief History of the Wahhaby (London, 1834).
8. Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys (London, 1930).
9. Hogarth, Arabia (Oxford, 1922).
10. Jacques Benoist Metchin, Arabian Destiny (London, 1947).
11. Kelly, J.B., Eastern Arabian Frontiers (London, 1964).
12. Mourizi, Shaikh Mansour, History of Sayed Said, Sultan of Mascat together, with an account of the country and people of the shores of the Persian Gulf particularly of Wahabees (London, 1819).
13. Sadlier, G.F., Diary of a Journey across Arabia from El-Katif in the Persian Gulf to Yanbo' in the Red Sea, during the year (Bombay, 1866).

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف : ٤٩٨٣٢٩٢ ـ الرياض

هذا الكتاب

يتنـاول هذا الكتـاب البحث الأكـاديميّ بالدراسة والمنـاقشـة والتحليـل حوادث تاريـخ الدولة السعوديّة الأولى في جوانبه السياسيّة والحضاريّة، منذ قيامها عام ١١٥٧هـ / ١٨١٨م.

ويـركـز هذا الجهـد العلميّ على عدد من المسـائل التـاريخيّـة المهمـة مثل: مرحلة تأسيس الدولة وتوحيد البلاد في ظل الحكم السعوديّ السلفيّ، والموقف العثمانيّ الكامل تجاه تلك الدولة، وامتدادها الحدوديّ، وأساس نظام الحكم والإدارة فيها، بالإضافة إلى علاقاتها الخارجية.

ولقـد تم وضع هذا الكتاب في ستة فصول تشرح بالتفصيل هذه المسائل التاريخية السابقة الذكر، ثم أنهينا الكتاب بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية.